المحاضرة الثانية عشرة

وسائل جمع البيانات -الاستبيان والمقابلة

مقدمة

- الاستبيان والمقابلة وسيلتان هامتان من وسائل جمع البيانات ، ويشيع استخدامها في البحث الاجتماعي حينما تكون البيانات المطلوبة لها صلة وثيقة بمشاعر الأفراد ودوافعهم وعقائدهم نحو موضوع معين ، وكذلك بالنسبة للمواقف التي يصعب الحصول على بيانات عنها بطريق الملاحظة كالمواقف الماضية والمستقبلية.
- وتعتمد هاتان الوسيلتان معاً على التقرير الذاتي اللفظي للفرد عن سلوكه وعن المؤثرات التي يتعرض لها، ولذا فإن توفيق الباحث في الحصول على المعلومات التي يطلبها يتوقف إلى حد كبير على مدى فهمه لهاتين الوسيلتين، والمواقف التي يفضل فيها استخدام إحداهما على الأخرى، والقواعد التي ينبغي مراعاتها عند إعداد الاستمارة التي تجمع بمقتضاها البيانات المطلوبة.

ونعرض في هذا الفصل الموضوعات الآتية :-

- الاستبيان
- المقابلة (الاستبار).
- إعداد استمارة الاستبيان والمقابلة.

ثانياً: الاستبيان

1- المقصود بالاستبيان:

- الاستبيان ترجمة للكلمة الانجليزية Questionnaire وللكلمة في اللغة العربية ترجمات متعددة، تترجم أحيانا باسم "الاستفتاء" وتترجم أحيانا أخرى باسم "الاستقصاء" وتترجم أحيانا ثالثة باسم "الاستبيان"، وهذه الكلمة جميعها تشير إلى وسيلة واحدة لجمع البيانات قوامها الاعتماد على مجموعة من الأسئلة ترسل إما بطريق البريد لمجموعة من الأفراد أو تنشر على صفحات الجرائد والمجلات أو على شاشة التليفزيون أو عن طريق الإذاعة، ليجيب عليها الأفراد ويقوموا بإرسالها إلى الهيئة المشرفة على البحث أو تسلم باليد للمبحوثين ليقوموا بملئها ثم يتولى الباحث أو أحد مندوبيه جمعها منهم بعد أن يدونوا إجاباتهم عليها.
- ويطلق على الاستبيان الذي يرسله الباحث بالبريد أو بنشره في الصحف والمجلات اسم " الاستبيان البريدي" تمييزا له عن الاستبيان غير البريدي الذي يتولى الباحث أو أحد مندوبيه توزيعه وجمعه من المبحوثين.
- ويتفق الاستبيان البريدي وغير البريدي في أن المبحوث هو الذي يتولى بنفسه الإجابة على أسئلة الاستمارة وملئها بنفسه دون مساعدة من جانب الباحث.
- ويستخدم الاستبيان غير البريدي في الحالات التي يمكن فيها جمع المبحوثين في مكان واحد، وتوزيع الاستمارات عليهم، كما هو الحال بالنسبة للطلبة في المدارس والعمال في المصانع والموظفين في المكاتب.
- ومن مزايا الاستبيان غير البريدي أنه قليل التكاليف، ويضمن للباحث أن المجيب على أسئلة الاستبيان هو الشخص المطلوب وليس أي شخص آخر، كما أن نسبة الردود تزداد زيادة كبيرة هذا بالإضافة إلى أن البيانات التي يدلي بها المبحوثون تكون أكثر صدقا ودقة لوجود الباحث بنفسه وتأكيده لأفراد البحث سرية البيانات وإزالته للمخاوف والشكوك من نفوسهم.

2- مزايا الاستبيان

1. يستفاد بالاستبيان إذا كان أفراد البحث منتشرين في أماكن متفرقة ويصعب الاتصال بهم شخصياً ، وفى هذه الحالة يستطيع الباحث أن يرسل إليهم الاستبيان بطريق البريد فيحصل منهم على البيانات المطلوبة بأقل جهد وفى أقصر وقت ممكن ، فإذا أراد الباحث مثلاً أن يقوم ببحث عن خريجي الجامعات في سنة من السنوات

ليحدد المراكز التي وصلوا إليها خلال فترة زمنية معينة، أو الوقوف على آرائهم بشأن مسألة من المسائل، فإن من الأوفق استخدام الاستبيان البريدي في جمع البيانات المتعلقة بالبحث حيث أنهم لا يشتغلون بعد تخرجهم في مكان واحد وإنما يعملون في أماكن متفرقة.

2. يتميز الاستبيان بقلة التكاليف والجهد وخاصة إذا نشر على صفحات الجرائد أو وزع على الأفراد وحتى في حالة إرساله بالبريد فإنه لا يكلف كثيراً إذا قورن بغيره من وسائل جمع البيانات.

3. يعطي الاستبيان البريدي لأفراد البحث فرصة كافية للإجابة على الأسئلة بدقة، خاصة إذا كان نوع البيانات المطلوبة متعلقاً بجميع أفراد الأسرة إذ يمكنهم التشاور معا في البيانات التي تتطلب إجابة جماعية.

4. يسمح الاستبيان البريدي للأفراد بكتابة البيانات في الأوقات التي يرونها مناسبة لهم دون أن يتقيدوا بوقت معين يصل فيه الباحث لجمع البيانات.

5. تتوفر للاستبيان ظروف التقنين أكثر مما تتوفر لوسيلة أخرى من وسائل جمع البيانات وذلك نتيجة للتقنين في الألفاظ وترتيب الأسئلة وتسجيل الاستجابات، وهو يكفل للمبحوثين مواقف متجانسة نتيجة لعدم اتصال الباحث شخصيا بالمبحوثين.

6. يساعد الاستبيان في الحصول على بيانات حساسة أو محرجة ، ففي كثير من الأحيان يخشى المبحوث إعلان رأيه والتصريح به أمام الباحث كأن يدلي برأيه في سياسة الحزب الحاكم، أو يعلن رأيه في رئيس العمل، أو يتحدث في نواح تتعلق بالعلاقات الزوجية، أما إذا أتيحت له الفرصة لإبداء رأيه في مثل هذه المسائل بطريقة لا تؤدى إلى التعرف عليه - كما هو الحال في الاستبيان – فإنه يدلي برأيه بصدق وصراحة.

7. لا يحتاج الاستبيان إلى عدد كبير من جامعي البيانات نظرا لأن الإجابة على أسئلة الاستبيان وتسجيلها لا يتطلب إلا المبحوث وحده دون الباحث.

3- عيوب الاستبيان

على الرغم مما يتوفر للاستبيان من مزايا فإنه لا يخلو من عيوب تجعله غير صالح بالنسبة لجميع المواقف وأهم هذه العيوب ما يأتي:-

1. نظرا لأن الاستبيان يعتمد على القدرة اللفظية فإنه لا يصلح إلا إذا كان المبحوثون مثقفين أو على الأقل مُلِمين بالقراءة والكتابة.

2. تتطلب استمارة الاستبيان عناية فائقة في الصياغة والوضوح والسهولة والبعد عن المصطلحات الفنية، حيث أن المبحوثين يجيبون على الأسئلة بدون توجيه من الباحث ولذا فإن صحيفة الاستبيان لا تصلح إذا كان الغرض من البحث يتطلب قدراً كبيراً من الشرح، أو كانت الأسئلة صعبة نوعا ما أو مرتبطة ببعضها.

3. لا يصلح الاستبيان إذا كان عدد الأسئلة كثيرا لأن ذلك يؤدى إلى ملل المبحوثين وإهمالهم الإجابة على الأسئلة.

4. تقبل الإجابات المعطاة في صحيفة الاستبيان على أنها نهائية وخاصة الحالات التي لا يكتب فيها المبحوث اسمه، ففي مثل هذه المواقف لا يمكن الرجوع إليه والاستفسار منه عن الإجابات الغامضة أو المتناقضة أو استكمال ما قد يكون بالاستمارة من نقص.

5. حينما يكون هدف البحث دراسة الاتجاهات والآراء الشخصية فإن الاستبيان قد لا يؤدى الغرض المطلوب ، إذ أن في استطاعة المبحوث أن يناقش الآراء المختلفة مع الآخرين ويتأثر بوجهة نظرهم ، وبهذا لا تكون إجاباته معبرة عن رأيه الشخصي.

6. يستطيع المبحوث عند إجابته لأي سؤال من أسئلة الاستبيان أن يطلع على الأسئلة التي تليه، فيربط بين السؤال الذي يجيب عنه وبين أسئلة المراجعة التي يقصد بها التثبيت من صحة إجابة المبحوث وصدقه في إعطاء البيانات ، وبهذا ينكشف أمر أسئلة المراجعة فلا تحقق الغرض الذي وضعت من أجله.

7. لما كان الاستبيان يعتمد على التقرير اللفظي للشخص نفسه فإن هذا التقرير قد يكون صادقا أو غير صادق.

ونظرا لعدم وجود الباحث مع المبحوث فإنه لا يستطيع أن يتحقق من صدق البيانات بملاحظة السلوك العام للمبحوث أو بمشاهدة الظواهر التي تؤكد له صحة البيانات أو عدم صحتها.

8- في غالب الأحيان يكون العائد من صحائف الاستبيان قليلاً ولا يمثل المجتمع تمثيلاً صحيحاً، فقد لا تتعدي نسبة العائد أكثر من 20% من المجموع الكلى لأفراد المجتمع، وفى هذه الحالة لا يستطيع الباحث أن يفسر النتائج في ضوء الردود التي وصلته، كما يصعب عليه أن يطلق حكما على المجتمع بأكمله وقد وجد في كثير من الدراسات أن صحائف الاستبيان التي تعود إلى الباحث تكون في غالب الأحيان متحيزة وخاصة إذا كان بعض الأفراد يهتمون بموضوع البحث أكثر من غيرهم ويرغبون في أن تكون النتائج مؤيدة لوجهة نظرهم.

- وقد يعتقد البعض أنه لعلاج هذه المشكلة يمكن زيادة حجم العينة غير أن تكبير العينة مع استبعاد المجموعة التي لم يحصل منها الباحث على البيانات المطلوبة لن يحل المشكلة في شيء.

ويري "موسر" أن زيادة حجم نسبة الردود تتوقف على عوامل ثلاثة هي:-

1. الهيئة المشرفة على البحث وما تتمتع به من نفوذ.
2. مادة البحث وأهميتها بالنسبة للمبحوثين.
3. نوع المجتمع الذي تجمع منه البيانات والمستوى العلمي الذي وصل إليه أفراده.

- ونود أن نلفت النظر في هذا المجال إلى أن الاستبيان غير البريدي لا يشترك مع الاستبيان البريدي في كل العيوب السابق ذكرها لأن وجود الباحث أو من ينوب عنه مع المبحوثين يهيئ الفرصة لعلاج كثير من المشكلات السابقة.

4- إعداد الاستبيان

- يتطلب إعداد الاستبيان تصميم استمارة تجمع بمقتضاها البيانات المطلوبة ، وتتضمن الاستمارة مجموعة من الأسئلة تتناول جميع التي يشتمل عليها البحث، وتعطينا إجاباتها البيانات اللازمة للكشف عن الجوانب التي حددها الباحث، وكلما كانت الاستمارة دقيقة توافرت لها أسباب النجاح وأمكن للباحث أن يحصل على البيانات التي يرغب في الحصول عليها.

- ونظراً لأهمية الاستمارة ولتشابه الأسس التي يقوم عليها بناء استمارة الاستبيان مع الأسس المستخدمة في بناء استمارة المقابلة فقد رأينا أن نؤجل مناقشة بناء الاستمارة وصياغتها واختيارها إلى فقرة تالية.

ثالثاً: المقابلة (الاستبار)

تستخدم المقابلة في كثير من مجالات الحياة، فالباحث الاجتماعي يستخدم المقابلة كأداة لجمع البيانات ، ورجل الأعمال والطبيب ورجل الدين والقاضي ورجل البوليس والصحفي والأخصائي النفسي والأخصائي الاجتماعي، كل هؤلاء يستخدمون المقابلة للاستفادة بها في التوجيه أو التشخيص أو العلاج، ويختلف الهدف من المقابلة من مجال إلى آخر، ورغم ذلك فإن أسلوب المقابلة والأسس السيكولوجية التي تقوم عليها والظروف التي ينبغي أن تتوافر لها تحقيق أغراضها تكاد تكون واحدة بالنسبة لجميع المقابلات أياً كان نوعها.

- ولذا فإن كثيرا مما نعرضه عن المقابلة في هذا المجال يمكن الاستفادة به ليس فقط في مجال البحث الاجتماعي ولكن في مختلف المجالات التي تستخدم فيها المقابلة .

1- تعريف المقابلة:

تستخدم كلمة الاستبار بدلا من كلمة المقابلة ويرجع ذلك إلى الأصل اللغوي للكلمة ، فالاستبار من سب وأسبر واستبر الجرح أو البئر أو الماء أي امتحن غوره ليعرف مقداره ، واستبر الأمر أي جربه واختبره.

ويعرف بنجهام المقابلة بأنها "المحادثة الجادة الموجهة نحو هدف محدد، غير مجرد الرغبة في المحادثة لذاتها" وينطوي هذا التعريف على عنصرين رئيسين هما:-

1. المحادثة بين شخصين أو أكثر في موقف مواجهة ، ويرى بنجهام أن الكلمة ليست هي السبيل الوحيد للاتصال بين الشخصين، فخصائص الصوت، وتعبيرات الوجه ونظرة العين والهيئة والإيماءات والسلوك العام، كل ذلك يكمل ما يقال.

2. توجيه المحادثة نحو هدف محدد ، فالمقابلة تختلف عن الحديث العادي في أن الحديث قد لا يستهدف شيئاً أو قد يرمى الإنسان من ورائه إلى تحقيق لذة يجتنبها من حديثه إلى الآخرين، أما المقابلة فهي محادثة جادة موجهة نحو هدف محدد، ووضوح هذا الهدف شرط أساسي لقيام علاقة حقيقية بين القائم بالمقابلة وبين المبحوث.

- ويعرف انجلش المقابلة بأنها محادثة موجهة يقوم بها شخص مع شخص آخر أو أشخاص آخرين، هدفها استثارة أنواع معينة من المعلومات لاستغلالها في بحث علمي أو للاستعانة بها في التوجيه والتشخيص والعلاج ، وتعريف انجلش لا يختلف عن تعريف بنجهام في تحديده خصائص المقابلة إلا أنه يتميز عليه في تحديد **الأهداف الأساسية للمقابلة وهي:-**

1. جمع الحقائق لغرض البحث.
2. الاستفادة بها في التوجيه والتشخيص والعلاج.

وتعرف "جاهودا" المقابلة بأنها "التبادل اللفظي الذي يتم وجها لوجه بين القائم بالمقابلة وبين شخص آخر أو أشخاص آخرين" ويشترك هذا التعريف مع التعريفين السابقين في تحديده للتفاعل اللفظي الذي يتم بين القائم بالمقابلة وبين المبحوث، وكذلك في تحديده لموقف المواجهة إلا أنه لا يشير إلى الهدف من المقابلة كما أشار التعريفان السابقان.

- أما ماكوبى وماكوبى فإنهما يعرفان المقابلة بأنها " تفاعل لفظي يتم بين شخصين في موقف مواجهة حيث يحاول أحدهما وهو القائم بالمقابلة أن يستثير بعض المعلومات أو التعبيرات لدى المبحوث، والتي تدور حول آرائه أو معتقداته، وهذا التعريف يقتصر على تحديد المقابلة كما يستخدم في البحث الاجتماعي فقط، فهو يجعل الهدف من المقابلة هو مجرد استثارة المعلومات أو التعبيرات التي تدور حولها ومعتقدات المبحوث.

من العرض السابق لتعريفات المقابلة يمكن أن نحدد الخصائص الجوهرية للمقابلة فيما يلي:-

1. التبادل اللفظي الذي يتم بين القائم بالمقابلة وبين المبحوث، وما قد يرتبط بذلك التبادل اللفظي من استخدام تعبيرات الوجه ونظرة العين والهيئة والإيماءات والسلوك العام.
2. المواجهة بين الباحث والمبحوث.
3. توجيه المقابلة نحو غرض واضح محدد، وهذا الغرض يجعلها تختلف عن الحديث العادي الذي لا يهدف إلى تحقيق غرض معين.

2- مزايا المقابلة

1. للمقابلة أهميتها في المجتمعات التي تكون فيها درجة الأمية مرتفعة ، فالمقابلة لا تتطلب من المبحوثين أن يكونوا مثقفين حتى يجيبوا على الأسئلة حيث أن القائم بالمقابلة هو الذي يقوم بقراءة الأسئلة.
2. تتميز المقابلة بالمرونة فيستطيع القائم بالمقابلة أن يشرح للمبحوثين ما يكون غامضا عليهم من أسئلة وأن يوضح معاني بعض الكلمات.
3. تتميز المقابلة بأنها تجمع بين الباحث والمبحوث في موقف مواجهة ، وهذا الموقف يتيح له فرصة التعمق في فهم الظاهرة التي يدرسها، وملاحظة سلوك المبحوث، فيستطيع الباحث مثلا عن طريق مقابلة لأفراد الأسرة أن يقف على مدى التفاهم بين الزوج والزوجة ، وأن يلحظ العلاقات المتبادلة بين أفراد الأسرة ، كما يستطيع أن يجمع بيانات عن بعض الظواهر دون توجيه أسئلة قد تبدو محرجة، فيستطيع الباحث مثلا عند زيارته لأسرة ما أن يشاهد حالة الأفراد السكنية والمعيشة الاجتماعية بصفة عامة دون أن يوجه أسئلة قد تبدو محرجة ، وقد

يكون لها أثرها في المبحوثين فيرفضون التعاون مع الباحث ، هذا بالإضافة إلى أن المقابلة تساعد الباحث على الكشف عن التناقض في الإجابة ومراجعة المبحوث في تفسير أسباب التناقض.

4. إذا أراد الباحث أن يوجه أسئلة كثيرة إلى المبحوثين ، ففي استطاعته أن يقنعهم بالأهمية العلمية والعملية للبحث وما يمكن أن يستفيده المجتمع من ورائه وبهذا يكسب معونتهم ويضمن استجابتهم للبحث.

5. توجه الأسئلة في المقابلة بالترتيب والتسلسل الذي يريده الباحث ، فلا يطلع المبحوث على جميع الأسئلة قبل الإجابة عليها كما قد يحدث في الاستبيان.

6. تضمن المقابلة للباحث الحصول على معلومات من المبحوث دون أن يناقش مع غيره من الناس أو يتأثر بآرائهم، وبذا تكون الآراء التي يدلي بها المبحوث أكثر تعبيرا عن رأيه الشخصي.

7. يغلب أن تحقق المقابلة تمثيلا أكبر وأدق للمجتمع لأن القائم بالمقابلة يستطيع الحصول على بيانات من جميع المبحوثين خصوصا إذا أحسن عرض الغرض من البحث عليهم واختيار الوقت المناسب للاتصال بهم.

8. يحصل القائم بالمقابلة على إجابات لجميع الأسئلة وإذا كانت ناقصة فإنه يستطيع الاتصال بالمبحوثين ويقوم بمقابلة ثانية وثالثة حتى يحصل على البيانات المطلوبة.

3- عيوب المقابلة

1. تتعرض النتائج التي يحصل عليها القائم بالمقابلة إلى أخطاء شخصية راجعة إلى نواحي التحيز التي تتعرض لها التقديرات والتفسيرات الشخصية أن كانت خطة البحث تقتضى إصدار مثل هذه الأحكام ، زيادة على ذلك فإن المقابلة تعكس الاستجابات الانفعالية للقائم بالمقابلة والمبحوث واتجاه كل منهما نحو الآخر.

2. لما كانت المقابلة تعتمد على التقرير اللفظي للمبحوث فإن الفرد قد لا يكون صادقا فيما يدلى به من بيانات، فيحاول تزييف الإجابات في الاتجاه الذي يتوسم أنه يتفق مع اتجاه القائم بالمقابلة.

3. تحتاج المقابلة إلى عدد كبير من جامعي البيانات الذين يتم اختيارهم وتدريبهم بعناية، وتتطلب عملية الاختيار والإعداد والتدريب وقتا طويلاً، ونفقات كثيرة.

4. كثرة تكاليف الانتقال التي يتكبدها القائمون بالمقابلة وضياع كثير من الوقت في التردد على المبحوثين.

5- في المقابلة كثيرا ما يتمنع المبحوث عن الإجابة على الأسئلة الخاصة أو الأسئلة التي يخشى أن يصيبه ضرر مادي أو أدبي إذا أجاب عليها، أما إذا كانت شخصيته غير معروفة للباحث فإنه قد يعطي بيانات أكثر صحة ودقة من تلك التي يعطيها للقائم بالمقابلة.

- ونود أن نشير إلى أن العيوب التي ذكرناها لا تقلل كثيرا من أهمية المقابلة ، ولا تدفع الباحث إلى التخلي عن المقابلة كأداة هامة من أدا\وات جمع البيانات، بل أنها تدفعه إلى العمل على زيادة درجة ثبات وصدق البيانات التي يحصل عليها وذلك بتخطيط المقابلة بحيث تتكيف والهدف المرجو منها واتخاذ الاحتياطات اللازمة لإكساب المقابلة قيمتها المنهجية التي تعزوها لها.

4- أنواع المقابلات.

- للمقابلة أنواع كثيرة وتصنيفات متعددة، وتختلف هذه الأنواع بعضها عن بعض من حيث شكلها وموضوعها ومجالها ، على أن من الممكن تصنيفها على النحو التالي:-

أ- من حيث الغرض: تنقسم المقابلات إلى الأنواع التالية:-

1. المقابلة لجمع البيانات:

- ويقصد بها المقابلة التي يقوم بها الباحث لجمع البيانات المتعلقة بموضوع البحث، وغالبا ما تكون هذه البيانات من النوع الذي يصعب الحصول عليه بطريق الملاحظة، أو تكون ذات صلة وثيقة بمشاعر الأفراد ودوافعهم وعقائدهم واتجاهاتهم، وتستخدم المقابلة في الدراسات الاستطلاعية بقصد التعرف على أهم الحقائق المتعلقة

بالمشكلة وتحديد الفروض التي يمكن وضعها تحت الاختبار وتستخدم أيضا في مرحلة الاختبار القبلي لبعض أجزاء البحث وخاصة بالنسبة لتصميم الاستمارة ، كما تستخدم أيضا في الدراسات الوصفية والسببية للتحقق من صحة الفروض التي يضعها الباحث.

- هذا ويتجه العاملون في مختلف المهن إلى إجراء مقابلات دراسية يهدفون من ورائها إلى جمع البيانات والحصول على المعلومات المتعلقة بالأشخاص والمواقف المحيطة بهم.

2- المقابلة الشخصية:

يستخدم الطبيب والأخصائي النفسي والأخصائي الاجتماعي هذا النوع من المقابلة في تشخيص حالات العملاء من المرضي وذوى المشكلات ، وتهدف هذه المقابلات إلى التعرف على العوامل الأساسية المؤثرة في المشكلة التي يعاني منها العميل، وتحديد الأبعاد الأساسية للمواقف المحيطة به.

3- المقابلات العلاجية

- يقصد بها المقابلة التي تهدف إلى رسم خطة لعلاج العميل وتخفيف حدة التوتر الذي يشعر به مع الاستفادة من إمكانيات المجتمع.

- وينبغي الإشارة إلى أن المقابلات التي تجرى بقصد الدراسة أو التشخيص أو العلاج تتداخل فيما بينها تداخلاً تاما بحيث يصعب إقامة الحدود الفاصلة بينها، والقائم بالمقابلة حينما يجرى مقابلات من أي نوع لا يحاول أن يقيم حدودا صناعية بين الأنواع الثلاثة ، كل ما في الأمر أنه يقوم بإبراز هدف واحد في كل خطوة من خطوات العمل، فتتسم مقابلاته الأولى بسمة الدراسة بينما تتسم مقابلاته التالية بسمة التشخيص، في حين أن مقابلاته الأخيرة تتسم بسمة العلاج.

ب- من حيث عدد المبحوثين : يمكن تقسيم المقابلات إلى النوعين التاليين:-

1. **المقابلة الفردية**: وهى التي تتم بين القائم بالمقابلة وبين شخص واحد من المبحوثين ويتطلب هذا النوع كثيرا من النفقات والوقت والجهد ورغم ذلك فهو النوع الأكثر شيوعا في الدراسات النفسية والاجتماعية.

2. **المقابلة الجماعية**: وهي التي تتم بين الباحث وبين عدد الأفراد في مكان واحد ووقت واحد ، ويستخدم هذا النوع من المقابلة لتوفير الوقت والجهد وللحصول على معلومات أوفر، ذلك لأن اجتماع عدد من الأفراد يساعدهم على تبادل الخبرات والآراء وتذكر التفاصيل التي قد تغيب عن أذهان بعض الأفراد إذا أجريت معهم مقابلات على المستوى الفردي، ثم أن وجود أفراد معا يهيئ لهم فرصة المشاركة في المناقشات الجماعية والتعبير عن آرائهم.

- ومن الشروط الواجب توافرها في تكوين الجماعة ألا يكون حجمها كبيرا إلى الدرجة التي يتعذر فيها على بعض الأعضاء الاشتراك في المناقشات الجماعية، كما ينبغي أن يتوفر اكبر قدر ممكن من التجانس بين أعضاء الجماعة سواء من ناحية النوع أو السن أو المستوى الاقتصادي أو الثقافي.

- أما بالنسبة لسير المناقشة الجماعية فينبغي أن يأخذ القائم بالمقابلة في الاعتبار جميع الأفكار التي تثار حتى التي تبدو لأول وهلة تافهة أو بعيدة عن الموضوع لأنها قد تنفع في استثارة أفكار أخرى لدى أعضاء آخرين ، وإذا كان بعض أفراد الجماعة هادئين ساكتين بطبيعتهم أو ممن يشعرون بالعزلة أو الشعور بالاستعلاء، فإن على القائم بالمقابلة أن يخلق الحوافز التي تدفعهم إلى المناقشة وإبداء الرأي ، وإذا أراد بعض الأعضاء احتكار المناقشة أو فرض أرائهم على المجموعة فعلى القائم بالمقابلة أن يعالج الأمر بلباقة ليسمح للجميع بالمساهمة في الرأي كما يجب عليه ألا يسمح بظهور معسكرات متضاربة في الرأي أو وجود مناقشات جانبية بين فرد أو أكثر حتى لا تتشتت المجموعة فلا تؤدى المقابلة أهدافها ، كما ينبغي ألا تشمل المقابلة الجماعية على بعض الموضوعات المحرجة لبعض الأفراد حتى تسير في جو طبيعي.

- ج- **من حيث درجة المرونة في موقف المقابلة**: تنقسم المقابلات من حيث درجة مرونتها إلى نوعين:-

1. **المقابلة المقننة:** وهي التي تكون محددة تحديدا دقيقا وينصب هذا التحديد على عدد الأسئلة التي توجه إلى المبحوثين وترتيبها ونوعها أن كانت مقفولة أو مفتوحة، وعلى القائم بالمقابلة أن يوجه الأسئلة إلى جميع المبحوثين بنفس الأسلوب وبنفس الترتيب وبنفس الطريقة، وفى حالة وجود أسئلة مفتوحة فلا توجه إلا أسئلة التعمق والاستيضاح فقط.

2. **المقابلة غير المقننة:** وهي التي لا تحدد أسئلتها أو فئات الاستجابات لهذه الأسئلة تحديدا سابقا، وقد استخدم هذا النوع من المقابلة في البحوث الأنثروبولوجية والفحوص الإكلينيكية السيكولوجية، ثم استخدم في مجال البحوث الاجتماعية للحصول على بيانات متعمقة عن الاتجاهات والدوافع الاجتماعية، ويتميز هذا النوع بالمرونة الكافية التي تسمح للقائم بالمقابلة بالتعمق في الحصول على المعلومات المتعلقة بالمبحوث والموقف المحيط به، كما أنه يسمح للمبحوث بالتعبير عن شخصيته تعبيرا حرا تلقائيا وبقدر ما تكون استجابات المبحوث تلقائية بقدر ما تحقق المقابلة أهدافها، ونصلح المقابلات غير المقننة في الدراسات الاستطلاعية للوصول إلى الفروض التي يمكن إخضاعها بعد ذلك للاختبار المقنن، ونظراً لما تتميز به المقابلات غير المقننة من مرونة فإنها تحتاج إلى مهارة فائقة من جانب الباحث حتى يستطيع تحليل نتائج مقابلاته والمقارنة بينها.

- وتتعدد الأسماء التي تطلق على هذا النوع من المقابلة مثل "المقابلة البؤرية" و" المقابلة الإكلينيكية" و"المقابلة المرتكزة حول العميل" ونشير فيما يلي هذه الأنواع بإيجاز.

(أ) المقابلة البؤرية:

- ويقصد بها ذلك النوع من المقابلة الذي يرتكز على خبرة معينة مر بها المبحوث والآثار المترتبة على هذه الخبرة، فإذا كان هناك موقف معين أو مجموعة مواقف اشترك فيها المبحوثون كرؤية مسرحية أو الاشتراك في حشد أو قراءة رواية معينة، فإن الباحث يبدأ بتحليل المواقف تحليلا مبدئيا للوقوف على عناصره وتحديد بعض الفروض المؤقتة، ثم يحدد الموضوعات التي يرغب في دراستها ويعد دليلا للمقابلة يتضمن الجوانب الرئيسية التي سبق تحديدها دون أن يتضمن تحددا دقيقا للأسئلة لأن أسلوب السؤال وتوقيته يترك لتقدير القائم بالمقابلة.

ومن الضروري أن تدور المقابلة حول الموضوعات التي حددها الباحث، ولذا ينبغي على القائم بالمقابلة أن يقصر المناقشات على ما سبق تحديده وخاصة الخبرة الذاتية للأشخاص الذين تعرضوا للموقف للتأكد من تعريفهم الشخصي للموقف، وتساعد استجابات هؤلاء الأشخاص على اختبار الفروض كما أن الاستجابات غير المتوقعة تؤدى إلى فروض جديدة يمكن إخضاعها للبحث العلمي المنظم.

وكلما كان الباحث عارفا بطبيعة الموقف الذي شارك فيه المبحوث ازدادت قدرته على الإعداد لموقف المقابلة وفرض الفروض المبدئية عن الموضوعات التي يتضمنها.

ويمكن أن نبدأ المقابلة بسؤال المبحوث عن الموقف الذي تعرض له ثم التدرج في استطلاع استجاباته، ويمكن استخدام الأسئلة المفتوحة أو الأسئلة المقيدة ، فيوجه القائم بالمقابلة سؤالاً مفتوحا مثل:

- ما الذي أعجبك في المسرحية التي شاهدتها؟
- أو يوجه سؤالا مغلقا له مثل:
- هل تعتقد أن الممثلين :

أ- أدوا أدوارهم بنجاح

ب- أم أنهم نجحوا إلى حد ما

ج- أم أنهم فشلوا في التمثيل.

(ب) **المقابلة الإكلينيكية**:

- تختلف المقابلة الإكلينيكية عن المقابلة البؤرية في أن الأخيرة تهتم بخبرة معينة مر بها المبحوث، في حين أن المقابلة الإكلينيكية تهتم بمختلف الخبرات التي مر بها، فهي تدور حول جوانب الشخصية بأكملها لمحاولة الوقوف على المشكلات الخاصة بالتكيف الانفعالي، وغالبا ما تجمع بين غرض الدراسة والتشخيص والعلاج.

- وقد نجح الأخصائيون النفسيون الإكلينيكيون والأطباء الذين يعملون في مجال التشخيص العقلي والعلاج النفسي في معرفة الكثير من العمليات العقلية التي تتفاعل أثناء المقابلة وبصفة خاصة ما يتعلق بالدوافع والحوافز وترابط الأفكار والتكلف الذي يعوق الصراحة ويؤدى إلى الوقوف حائلا دون الإفضاء بالحقائق، وتساعد المعرفة بهذه العمليات على فهم طبيعة التحيز سواء لدى القائم بالمقابلة أو العميل، وتنير الطريق نحو فهم متبادل وأقوال صادقة وأحكام صريحة خالية من التحيز.

- ولا يكفي في المقابلة الإكلينيكية بالتقرير اللفظي الذي يدلي به المبحوث وإنما يهتم القائم بالمقابلة بملاحظة السلوك غير اللفظي لأهميته الكبرى في الكشف عن حالة العميل.

- وهناك أساليب مختلفة يمكن استخدامها في المقابلة الإكلينيكية ويمكن الاطلاع عليها في المراجع التي تهتم بمثل هذه الموضوعات.

(ج) **المقابلة المتمركزة حول العميل**.

- يعتمد هذا النوع من المقابلة على تشجيع العميل على التعبير عن مشاعره ودوافع سلوكه، والتحدث عن أي شيء يجول في خاطره بأقل قدر ممكن من التوجيه أو التساؤل.

- ويعتمد هذا النوع من المقابلة على منهج "كارل روجرز" في العلاج النفسي الذي يقوم على تشجيع العميل على الإفضاء بكل ما يجول في خاطره والتعبير عن مشاعره تعبيرا حرا تلقائيا.

- وينبغي على القائم بالمقابلة أن يصغي جيدا لكل ما يقال ، وأن يقول بعض التعليقات المختصرة التي تدفع العميل إلى مواصلة الحديث والاسترسال فيه كلما هم بالتوقف، مع تقبل كل ما يقال دون إصدار أحكام أخلاقية على العميل.

أسئلة المحاضرة الثانية عشرة

السؤال الأول : ((تستخدم المقابلة في كثير من مجالات الحياة ، ورغم ذلك فإن أسلوب المقابلة والأسس السيكولوجية التي تقوم عليها والظروف التي ينبغي أن تتوافر لها تحقيق أغراضها تكاد تكون واحدة بالنسبة لجميع المقابلات أياً كان نوعها))

تحدثي / تحدث بالتفصيل عن عيوب ومزايا المقابلة كأحد وسائل جمع البيانات.

السؤال الثاني :

((على الرغم مما يتوفر للاستبيان من مزايا فإنه لا يخلو من عيوب تجعله غير صالح بالنسبة لجميع المواقف))

عددي / عدد خمسة عيوب للاستبيان تؤثر على استخدامه في بعض المواقف كأداة لجمع البيانات

المحاضرة الثالثة عشرة

وسائل جمع البيانات – تابع الاستبيان والمقابلة

أولا : كيفية إجراء المقابلة

- لما كانت المقابلة تستخدم لجمع البيانات المتعلقة باتجاهات الأفراد وعقائدهم ودوافعهم ومشاعرهم نحو موضوعات معينة، معتمدة على التقرير الذاتي اللفظي للمبحوث، في موقف مواجهة يقوم على التفاعل المستمر والتأثير المتبادل بين شخصين كلاهما غريب عن الآخر ، فإن نجاح المقابلة يتوقف إلى حد كبير على مهارة القائم بها ومدى فهمه لدوافع السلوك ، ومقدار وعيه بمختلف العوامل التي يمكن أن تدفع المبحوث إلى الوقوف موقفا سلبيا من الباحث أو إلى إعطاء بيانات محرفة لا تتسم بالصدق والثبات.

- ويجمع اغلب المشتغلين بالبحث الاجتماعي على أن المقابلة فن يحتاج إلى مهارة وخبرة وتدريب ، وهذه المهارة والخبرة يمكن اكتسابها عن طريق الممارسة العملية وذلك بالنزول إلى الميدان ومقابلة المبحوثين والاحتكاك بهم مع الاستفادة بالحقائق العلمية التي توصل إليها علماء النفس والاجتماع وخاصة تلك التي تتعلق بدوافع السلوك ومكونات الشخصية وأساليب الاتصال والتأثير وأنواع العلاقات الاجتماعية .

- وتفيض المراجع بكثرة من النصائح والإرشادات التي يمكن الاستفادة بها عند إجراء المقابلة وهذه النصائح اغلبها مستمد من خبرات الباحثين الميدانيين ومن الحقائق العلمية عن السلوك ودوافعه والاتصال وأساليبه.

- ونعرض فيما يلي بعضا منها لا ليلتزم بها الباحث التزاما حرفيا بل ليأخذ منها ما يتناسب مع الموقف الذي يواجهه، وليغير فيها حسب طبيعة البحث والظروف المحيطة به.

1- استثارة الدافع للاستجابة:

- أن أول ما يسعي إليه القائم بالمقابلة هو استثارة الدافع لدى المبحوث للاستجابة ، فالمبحوث يواجه شخصا غريبا ، لا تربطه به صلة سابقة ويطلب إليه أن يدلي ببيانات تتصل بشئون حياته الخاصة ، وقد تكون من النوع الذي يقابل بشيء من التستر كما هو الحال عندنا في الريف المصري حينما يرغب الباحث في الحصول على بيانات عن عدد أفراد الأسرة مقسمين إلى ذكور وإناث والعمر ونوع العمل والحالة الاجتماعية والزواجية والدخل بمقداره ومصادره ، فما الذي يحفز المبحوث إلى الاستجابة ويدفعه إلى التعاون مع الباحث؟
- ليس من شك في أن درجة الاستعداد للاستجابة تختلف باختلاف الدور الذي يمثله القائم بالمقابلة وباختلاف المجتمع الذي يجرى فيه البحث، ونوع الثقافة السائدة فيه.
- فإن كان تقديم الباحث من قبل أصحاب السلطة فإن ذلك قد يشجع المبحوثين على الإدلاء بالبيانات المطلوبة إذا كانوا يقدرون هذه السلطة ويحترمونها ، وقد يدفعهم إلى الحذر إذا كان أصحاب السلطة لا يحتلون مكانة طيبة في نفوس الأفراد أو إذا كانت البيانات المطلوبة تعبيرا عن رأي أو اتجاه يمس هؤلاء من قريب أو بعيد.

- وتشير كثير من البحوث التي أجريت في الخارج إلى أن الناس يهمهم تكوين صلات مع الأشخاص الذين يمثلون مستويات اجتماعية أعلى من مستوياتهم أكثر مما يهمهم تكوين هذه الصلات مع أشخاص في مراكز اجتماعية أدني، فالأفراد من الطبقات العليا قد لا يرون فائدة كبيرة في التعبير عن آرائهم للقائم بالمقابلة بينما يحرص الأفراد من الطبقات الدنيا على إبداء آرائهم والتعبير عن وجهات نظرهم .

- ويحدث في بعض المجتمعات أن يبدى الأفراد نوعا من المقاومة للقائمين بالمقابلة لأنهم يعتبرون المسائل التي يسألون عنها من الأمور التي لا يجوز أن يطلع عليها أي إنسان بأي حال من الأحوال ، في حين أن مثل هذه المسائل تعتبر أمورا عادية في مجتمعات أخرى ولا يبدى الأفراد أي نوع من أنواع المقاومة إذا سئلوا عنها ويرجع ذلك بطبيعة الحال إلى ظروف المجتمع ونوع التقاليد والقيم والاتجاهات السائدة فيه.

- هذا ويتوقف الكثير على القائم بالمقابلة ومدى فهمه للأشخاص الذين يواجههم ونوع العلاقة التي يستطيع أن يكونها معهم والانطباع الذي يتركه في نفوسهم.

- وينبغي على القائم بالمقابلة أن بعمل على كسب ثقة المبحوثين فيبدأ بمقدمة مختصرة عن الغرض من المقابلة والطريقة التي تم اختيارهم بها، ويبين لهم أن البيانات المطلوبة سرية ولن تستخدم إلا لغرض البحث العلمي ، وأن البحث يهدف إلى الوقوف على مجموع آراء الأفراد واتجاهاتهم دون البحث عن آراء فرد بذاته ، كما ينبغي عليه الاستعداد لتقديم ما يثبت شخصيته إذا تطلب الأمر ذلك.

2- تهيئة جو المقابلة

- ينبغي أن يخصص للمقابلة الوقت المناسب مع تهيئة المكان والظروف المناسبة ويقتضى الأمر في كثير من الأحيان أن تكون المقابلة مقصورة على كل من القائم بالمقابلة والمبحوث، لأن وجود أفراد آخرين قد يثير مخاوف المبحوث ويدفعه إلى العدول عن أقواله، ولتوضيح ذلك نضرب المثال التالي: جاء في التقرير الذي نشره المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية عن البغاء أن الباحثين صادفوا مشكلة مادية انحصرت في عدم وجود حجرة في مكتب حماية الآداب بالقاهرة يمكن تخصيصها لإجراء عملية الاستبار ، ولذا كانت المقابلة تتم في الغرف المخصصة للقائمين بالعمل في مكتب الآداب ، وكان يحدث أحيانا أن يدخل أحد رجال المكتب لأخذ شيء من مكتبه أو لإنهاء بعض أعماله، فكان ذلك يؤثر في موقف البغي ويثير الخوف في نفسها، وخاصة إذا ما كانت تدلى باعترافات عن ممارسة المهنة حتى أن بعضهن كن يعدلن عما سبق أن ذكرته وذلك خشية أن تؤخذ أقوالهن دليلاً لإدانتهن.

- من هذا نستدل على أن من الضروري أن يعمل القائم بالمقابلة على الاجتماع بالمبحوث في غرفة منفردة بقدر الامكان ضمانا لصحة البيانات والبعد بها عن عوامل الانحراف.

وتشير اغلب البحوث الميدانية إلى أن إشاعة جو من التقبل وعدم الكلفة يؤدى إلى عدم ظهور توترات نفسية لدى المبحوث وإلى تحرره من الخوف والقلق ، مثال ذلك ما جاء في تقرير تعاطي الحشيش من أن هيئة البحث كانت تحسن استقبال المفحوصين وكانت تحاول الإقلال من الطابع الرسمي للجلسة ، فكانت تقدم لهم السجائر أحيانا وكذلك كانت تقدم لهم بعضا لمشروبات وأنها حرصت على أن تقلل من التوترات النفسية في جلسة الاستبار ما أمكن وذلك عن طريق تنظيم خطوات المقابلة والاستقرار على نمط معين في إلقاء الأسئلة.

ومن النصائح التي يقدمها "هايمان" بهذا الصدد ما يأتي:-

1. حدد موعد المقابلة مع المبحوثين قبل القيام بها.
2. خصص الوقت الكافي للمقابلة واجعل المبحوث يشعر بأنك متفرغ لمقابلته.
3. دع المبحوث يتخير الجلسة المريحة قبل البدء في الأسئلة.
4. تجنب إجهاد المبحوث بكل الوسائل الممكنة.

3- توجيه الأسئلة:

ينبغي ألا يبدأ القائم بالمقابلة بتوجيه أسئلة منصبة على الموضوع رأسا، فقد تثير بعض هذه الأسئلة جوانب الخوف والمقاومة لدى المبحوث، ويفضل أن تكون الأسئلة الأولى من النوع الذي يثير اهتمام المبحوث تليها أسئلة متخصصة لها صلة وثيقة بموضوع البحث ثم أسئلة أكثر تخصصا مع مراعاة أن يكون التدرج في توجيه الأسئلة متمشيا مع تدرج العلاقة الودية التي تنشأ بين القائم بالمقابلة وبين المبحوث.

ولكي يحصل الباحث على الفائدة الكافية من المقابلة ينبغي إجراؤها بطريق المناقشة ، فلا تلقى الأسئلة بطريقة جامدة كما تلقى قطعة الإملاء ويتطلب ذلك من القائم بالمقابلة أن يقرا أسئلة الاستمارة قراءة دقيقة قبل ذهابه إلى المبحوث وأن يتدرب على طريقة ملء الاستمارة من في الميدان بتجربتها على بعض زملائه أو معارفه.

وينبغي على القائم بالمقابلة أن يوجه الأسئلة برفق متجنبا أسلوب التحقيق ومراعيا حالة المبحوث فقد يكون من الأشخاص الذين يتكلمون ببطء شديد أو من الذين يتكلمون بسرعة لدرجة أنهم يمضغون الكلمات ، وفى مثل هذه الحالات يجب أن يمنح القائم بالمقابلة للشخص الذي أمامه الفرصة الكاملة التي تجعله يعطي ما يريد بسرعته الخاصة دون أن يستحثه على التأني أو الإسراع في الإجابة.

هذا ولا يجب توجيه أكثر من سؤال في وقت واحد حتى يستطيع المبحوث أن يستجمع المبحوث أفكاره بالنسبة لكل سؤال وأن ينظم إجاباته تنظيما دقيقا.

وفى حالة استخدام المقابلة غير المقننة ينبغي توجيه الأسئلة بالطريقة التي يفهمها المبحوث، وقد يجد الباحث أن من الأنسب تفتيت السؤال الواحد إلى جملة أسئلة ليتدرج في استخلاص البيانات من المبحوث حسب مستواه الثقافي، أما في المقابلة المقننة فمن الضروري توجيه الأسئلة بنفس الأسلوب وبنفس الترتيب لجميع المبحوثين، وإذا لم يفهم المبحوث المعني المقصود من أحد الأسئلة فينبغي على القائم بالمقابلة أن يعيد السؤال مع تأكيد بعض الأجزاء الهامة التي توضح المعنى دون أن يحاول تفسيره ، فإذا استمر المبحوث في عدم فهمه للسؤال فيمكن الانتقال إلى السؤال الذي يليه.

ويجب أن يظل القائم بالمقابلة ممسكا بزمام المناقشة بحيث يوجهها إلى الناحية التي تحقق أهداف البحث دون أن يترك الأمر للمبحوث يوجهه كيفما يشاء.

4- الحصول على الإجابة:

يجب أن يسعى القائم بالمقابلة إلى الحصول على إجابات عن جميع الأسئلة فإذا وجد أن المبحوث قد أجاب على السؤال في سؤال سابق فلا ينبغي أن يتخلي عن ذلك السؤال، فمثل هذا السؤال غالبا ما يوضع للتأكد من صحة الإجابة الأولى.

أما إذا كانت الإجابة ناقصة فعليه أن يحاول استكمال المعلومات الناقصة والتي يرى أنها ضرورية للبحث.

وإذا لم يجب المبحوث على احد الأسئلة قائلاً " لا أعرف" فعلى القائم بالمقابلة أن يحاول معرفة العوامل التي تدفعه إلى عدم الإجابة ، فقد يكون المبحوث حقا لا رأي له في الموضوع أو قد لا يكون قادرا على التعبير عن رأيه بالألفاظ أو قد يكون السؤال غير واضح، وعلى القائم بالمقابلة أن يميز بقدر الإمكان بين هذه الحالات وأن يتصرف في كل موقف بما يناسبه، فقد يجد أن من المناسب إعادة السؤال مبتدئا بعبارة مثل " إنني لم أعبر لك تعبيرا كافيا عن السؤال" ثم يعيد السؤال ببطء مع تأكيد النقط الهامة، أو بعبارة مثل" أن أشخاصا كثيرين لا رأي لهم بشأن هذا الموضوع لكني ارغب في معرفة رأيك الشخصي" أو بعبارة مثل " أن الإجابة التي تدلى بها ليس فيها من صحيح وخطأ ولكنها مسألة رأي"

وإذا حاول المبحوث أن يسال القائم بالمقابلة عن رأيه هو فعليه أن يبتسم ممتنعا قائلا له " إن مهمتي الآن أن احصل على معلومات لا أن أدلي برأيي الخاص".

ويجب أن يتجنب القائم بالمقابلة الإيحاء إلى المبحوث بإجابة معينة وأن يجيد الإصغاء لكل ما يقوله وأن يمنحه الفرصة الكاملة ليقول كل ما يريده بالصورة التي يريدها دون أن يخرج عن الموضوع.

فإذا حدث واستطرد المبحوث استطرادا خارجا عن الموضوع فما على القائم بالمقابلة إلا أن يعيده إلى الموضوع برفق ولباقة.

وينبغي ألا يظهر القائم بالمقابلة نفورا أو اشمئزازا من المبحوث وألا يظهر دهشة أو استنكارا لما يقول، وألا يصدر عليه أحكاما خلقية، فوظيفة القائم بالمقابلة هي الحصول على بيانات من المبحوث دون أن يقف منه موقف الناقد أو الواعظ أو المحقق.

ولكي يحصل الباحث على الفائدة الكاملة من المقابلة لابد من ملاحظة الأحوال الاجتماعية والاقتصادية للمبحوثين أثناء إجراء المقابلة ومطابقتها بما يحصل عليه من إجابات ، ومن الضروري أيضا ملاحظة سلوك المبحوثين وما يطرأ على هذا السلوك من تغير أثناء توجيه الأسئلة وتلقى الإجابة عليها ، ومن المستحسن أن ينظر القائم بالمقابلة إلى عملية جمع البيانات كأنها دراسة لطباع الناس، ودراسة الناس بما يصدر عنهم من سلوك حركي وسلوك لفظي

هي من أمتع الدراسات في الحياة ، وبهذه الطريقة يمكن أن يتحول جمع البيانات من عملية روتينية آلية أولها مريح وآخرها متعب إلى عملية ممتعة أولها متعب وآخرها مريح".

5- تسجيل إجابات المبحوثين:

ينصح فريق من المشتغلين بمناهج البحث الاجتماعي بعدم تسجيل إجابات المبحوثين أثناء المقابلة لأن التسجيل من شأنه أن يثير مخاوف المبحوثين ويدفعهم إلى الافتعال والتكلف ويمنعهم من الانطلاق التلقائي في الإجابة، فلا يعبرون تعبيرا صريحا عن آرائهم ويرون أن واجب الباحث أن يكتفي بتسجيل الاسم والعنوان والسن والوظيفة وما إلى ذلك من بيانات أولية ثم يعمد إلى استكمال البيانات وتسجيل الإجابات بعد انتهاء المقابلة.

غير أننا لا ننصح بتأجيل تدوين الإجابات إلى ما بعد المقابلة، فقد أظهرت البحوث الميدانية المختلفة – سواء في جمهورية مصر العربية أو في الخارج أن معظم الاعتراضات التي سبق ذكرها وهمية ولا أساس لها من الصحة.

فالخوف والتكلف وعدم الانطلاق من جانب المبحوثين كلها أمور يمكن التغلب عليها في بداية المقابلة بخلق الظروف الملائمة لموقف المقابلة ، وبإشاعة جو من السمات والتقبل بين الباحث والمبحوث، هذا بالإضافة إلى أن تسجيل إجابات المبحوثين يشعرهم بجدية الموقف فيجعلهم يهتمون بالإجابة والتدقيق فيها، ومن ناحية أخرى فإن تسجيل إجابات المبحوثين يجعلهم يشعرون بأهميتهم لأن شخصا ما يهتم بهم لدرجة أنه يكتب أقوالهم، ويلاحظ بوجه عام أن المبحوثين يعتبرون تدوين أقوالهم شيئا وأمرا متوقعاً.

وتشير كثير من البحوث إلى أن عدم تدوين إجابات المبحوثين وقت سماعها يؤدى إلى نسيان كثير من المعلومات وتشويه كثير من الحقائق، فقد أظهرت نتائج إحدى الدراسات أن التقارير التي تكتب بعد الانتهاء من المقابلة مباشرة تحتوى على 39% فقط من مضمون الإجابات، والتقارير التي تكتب بعد المقابلة بيومين تحتوى على 30% من مضمون الإجابات والتقارير التي تكتب بعد إجراء المقابلة بسبعة أيام تحتوى على 23% من مضمون الإجابات.

وقد تبين من إحدى الدراسات أن الباحثين الذين كتبوا تقاريرهم عن المقابلة اعتمادا على الذاكرة كانوا يميلون إلى الربط بين نقاط لم يربط بينها المبحوثين في إجاباتهم فعلاً.

وعلى هذا فإن من الضروري تدوين إجابات المبحوثين بعد أن ينتهوا من أقوالهم مباشرة، وان يتم ذلك على مرأى منهم ، وأن يكون مطابقاً تماما لما يتفوهون به ضمانا لدقة البيانات وسلامة النتائج التي يمكن الوصول إليها ، ويمكن أن يتم تسجيل إجابات المبحوثين باستخدام وسائل متعددة، ففي غالب الأحيان يستعين الباحث الاجتماعي باستمارة مقابلة وكلما كانت الاستمارة مقننة ذات إجابات محددة سهل على القائم بالمقابلة أن يدون إجابات المبحوثين لن مهمته لن تنحصر إلا في وضع علامة ( ) أمام الاستجابة التي يتخيرها المبحوث، وإذا كانت هناك بعض الأسئلة المفتوحة النهاية فإنها لن تحتاج إلى كتابة كثيرة نظرا لقلة عددها، أما إذا كانت المقابلة حرة (غير مقننة) فينبغي تدوين كل ما يقوله المبحوث تدوينا حرفيا إلا في الحالات التي يمكن فيها الاستغناء عن بعض الكلمات التي لا تؤثر في سلامة المعني ، ومن الممكن الاستعانة بالاصطلاحات المختصرة في الكتابة أو باستخدام طريقة الاختزال.

وإلى جانب استمارات المقابلة يمكن استخدام أجهزة التسجيل لتسجيل كل ما يقوله المبحوث.

ثانيا :إعداد استمارة الاستبيان والمقابلة

تستلزم عملية جمع البيانات بطريق الاستبيان أو المقابلة إعداد خطة مفصلة للاهتداء بها عند جمع البيانات وتكون هذه التفاصيل مكتوبة في شكل أسئلة وأمامها فراغات ليملأها المبحوث نفسه أو يملأها الباحث بناء على مشاهداته الخاصة وعلى ما يدلى به المبحوثون من بيانات.

ويستخدم بعض المشتغلين بالبحث الاجتماعي مصطلحات متعددة للتفرقة بين الاستبيان أو الاستخبار، بينما يطلقون على الثانية مصطلح "كشف البحث أو الاستمارة" ولكننا نفضل إطلاق مصطلح واحد على كلتيهما وهو استمارة نظراً لعد وجود فوارق جوهرية بين الاستمارتين ولا في طريقة إعداد كل منهما، وللتفرقة بينهما يمكن أن نقول : استمارة الاستبيان أو استمارة المقابلة "الاستبار".

وسنحاول في هذا المجال أن نناقش القواعد الرئيسية التي تستخدم في إعداد الاستمارة وطريقة صياغة الأسئلة وتسلسلها.

خطوات إعداد الاستمارة:

- **هناك عدة خطوات يجب إتباعها عند إعداد الاستمارة ، وهذه الخطوات هي:-**

1. تحديد نوع المعلومات التي يرغب الباحث في الحصول عليها.
2. تحديد شكل الأسئلة والاستجابات والصياغة وتسلسلها.
3. اختبار الاستمارة قبل تعميم تطبيقــها على المبحوثين.
4. تنسيق الاستمارة وإعدادها في صــورتها النهائيـــة.

1- تحديد نوع المعلومات المطلوبة:

ينبغي تصميم استمارة البحث في ضوء الإطار العام لموضوع الدراسة ، ومن الضروري أن يتم هذا التصميم بناء على خطة محكمة تضمن احتواءها على جميع النقط الرئيسية والفرعية التي تشتمل عليها البحث، كما يضمن تسلسل هذه النقط بطريقة منطقية.

ويبدأ تصميم الاستمارة بتحديد الأبواب والميادين الرئيسية التي يتضمنها البحث، ثم توضع قائمة بالنقط التي يحتويها كل ميدان تمهيدا لوضع أسئلة متعلقة بكل نقطة من هذه النقاط .

وينصح بعض المشتغلين بمناهج البحث الاجتماعي بأن يبدأ الباحث بدراسة كل ميدان من ميادين البحث مبتدئا من الداخل إلى الخارج، أي أن يبدأ الباحث بخبرته الخاصة في تحديد الميادين التي تتضمنها مشكلة البحث ثم استشارة الزملاء والأصدقاء في نواحي المشكلة ثم باستشارة الخبراء في الموضوع.

وبعد أن ينتهي الباحث من تحديد الميادين العامة للاستمارة والنقط التي يمكن أن تشتمل عليها، ينبغي أن يتجه إلى تحديد عدد الأسئلة اللازمة لكل ميدان من الميادين.

وينصح البعض بأن يضع الباحث عشرة أسئلة لكل ميدان من هذه الميادين ويرتبها ترتيبا منطقيا متسلسلا ويسجل بجوار كل سؤال في الاستمارة رمزا يدل على الميدان الذي ينتمي إليه وترتيبه بين أسئلة الاستمارة مثل 3ج أو 4 د أو 7 أ وفى رأيي أنه ليس من الضروري أن يكون عدد الأسئلة متساويا بالنسبة لكل ميدان بل ينبغي أن يتناسب عدد الأسئلة مع أهمية كل ميدان وما يمكن أن يحتويه من نقاط.

ولتحديد نوع البيانات المطلوبة ينصح كثيرون بضرورة تخيل الباحث للنتائج الفعلية التي يمكن أن يحصل عليها ، ومن أفضل الطرق لتحقيق ذلك إعداد مجموعة من الجداول التخيلية أو الصماء وتتجلى أهميتها في حصر احتمالات الإجابة في أضيق الحدود وفى تحديد صيغة السؤال .

2- تحديد شكل الأسئلة وصياغتها وتسلسلها:

شكل الأسئلة: هناك نوعان من الأسئلة أحدهما يطلق عليه اسم الأسئلة المفتوحة النهاية "غير المقيدة" والآخر يطلق عليه اسم الأسئلة المقيدة أو المحددة، ولكل نوع مزاياه وعيوبه، فالأسئلة المفتوحة لها فائدتها الكبرى إذا كان الميدان جديدا، وإذا أراد الباحث أن يسمح للمبحوث بالتعبير الحر التلقائي، فيترك له حرية عن مشاعره وانفعالاته، وفى كثير من الأحيان تعتبر الأسئلة غير المقيدة خطوة لازمة لعمل الاستمارات ذات الأسئلة المقيدة حتى تكون الأخيرة نابعة من واقع الحياة الاجتماعية وليس نتيجة التفكير الذاتي للباحث وحده، ومن عيوب الأسئلة المفتوحة أن كثيرا من البيانات المطلوبة قد لا يتيسر الحصول عليها من توجيه أسئلة مفتوحة، ذلك أن المبحوث قد يغفل الإجابة عن بعض النقط المهمة بالنسبة للبحث ، فيستحيل في هذه الحالة المقارنة بين المبحوثين ومن عيوب الأسئلة المفتوحة أيضا أن البيانات التي يحصل عليها الباحث يصعب تحليلها إحصائيا.

أما الأسئلة المحددة أو المقيدة فهي التي يطلب فيها الاستجابة بأحد المتغيرات المحددة مثل (نعم) أو (لا) أو (موافق) أو (لا أعرف) وقد تتدرج المتغيرات في كل سؤال من النفي المطلق إلى النفي المعتدل إلى التأييد المعتدل إلى التأييد المطلق.

مثال ذلك : أوافق – أوافق نوعا ما- لا أدري- لا أوافق نوعا ما – لا أوافق، وقد توضع قوائم إجابات متعلقة بكل سؤال وما على المبحوث إلا أن يضع خطا تحت الرأي الذي يميل إليه أو علامة( ) ليقرر بذلك اختياره وإجاباته.

وتسمى هذه الأسئلة في بعض الأحيان بالأسئلة الانتخابية لأنها تستخدم غالبا في الدراسات التي تحاول التنبؤ بنتائج الانتخابات ، ويستخدم هذا النوع من الأسئلة إذا كانت الاستجابات محدودة ومعروفة، ومن مزايا هذا النوع من الأسئلة أنها توجه ذهن المبحوث وجهة معينة بحيث يتفادى الاستطرادات التي لا مبرر لها والتي تستند أحيانا إلى تداعيات سطحية ، وهذا من شأنه أن يوفر كثيرا من الوقت والجهد ثم أنها تجعل الإجابة سهلة على المبحوث دون أن تحتاج إلى تفكير طويل وفى نفس الوقت تيسر عملية تسجيل الإجابة وعمليات التحليل الإحصائي للبيانات ، ومن عيوبها أنها لا تسمح للمبحوث بأن يعبر عن نفسه تعبيرا حرا كاملا، ويحاول البعض أن يجمع بين مزايا هذين النوعين فيصممون الاستمارة بحيث تكون الأسئلة مفتوحة ثم تقيد في الحالات التي يتوقعون فيها احتمال بعد الإجابة عن المطلوب.

ومن أمثلة الأسئلة المفتوحة ما يأتي:-

1. ما أكثر مشكلة تتوقع أن تواجهها في عملك الجديد؟
2. ما هي في رأيكم الأسباب العامة المؤدية إلى انحراف بعض الطلاب؟
3. ما هي أهم الاقتراحات التي ترى إدخالها في المدرسة لمعالجة نواحي الانحراف التي أشرت إليها؟

ومن أمثلة الأسئلة المقيدة ما يأتي:-

1. أي الطبقات الاجتماعية تعتقد انك تنتمي إليها؟

أ- الطبقة الغنية.

ب- الطبقة فوق المتوسطة.

ج- الطبقة المتوسطة.

د- الطبقة دون المتوسطة.

ه- الطبقة الفقيرة.

- ويفضل الأسئلة المفتوحة في الدراسات الاستطلاعية حيث يكون الميدان جديدا والاستجابات غير معروفة للباحث ، ولذا فإنه يبدأ بعدد من الأسئلة المفتوحة ليكشف عن طريق إجابتها الميادين التي يمسها البحث ونوع الاستجابات اللازمة، أما في حالة معرفة جميع الاحتمالات الممكنة للإجابة فإن الأسئلة المقفلة تكون أفضل بكثير من الأسئلة المفتوحة.

- **الأسئلة من حيث الصياغة والمضمون:**

هناك قواعد أساسية يجدر بالباحث مراعاتها بشأن صياغة الأسئلة ، ونورد هنا أهم القواعد المتفق عليها لتكون بمثابة توجيهات وإرشادات للباحثين، ولمعرفة طبيعة الأخطاء التي يمكن أن يتعرض لها الباحث حتى يمكنه تلافيها، وهذه القواعد هي:-

يجب أن تكون لغة السؤال سهلة وبسيطة ومتمشية مع مستوى ثقافة المبحوثين، فأسلوب استمارة موجهة إلى طائفة من المثقفين يجب أن يختلف عن أسلوب استمارة موجهة إلى العمال والفلاحين، وفى حالة وجود عناصر تختلف في مستوياتها الثقافية يجب اختيار اللغة التي يفهمها اقل الناس ثقافة ، وليس هناك ما يمنع من استخدام اللغة العربية البسيطة أو اللغة العامية، وقد استخدمت اللغة العامية في كثير من الاستمارات التي وضعت في جمهورية مصر العربية نظرا لانخفاض المستوى التعليمي بين كثير من فئات المجتمع:-

وهذه عينة من الأسئلة بعد تحويلها إلى العامية:-

1. ما نوع العمل السابق ؟ كنت بتشتغل إيه؟
2. كم كان أجرك اليومي؟ كنت بتاخد كام في اليوم؟

تسلسل الأسئلة:

يجب أن تتدرج الأسئلة بحيث يساعد تدرجها على إثارة اهتمام الأفراد الذين يجيبون عنها، وأن يكون ترتيبها متمشيا مع تدرج العلاقة الودية بين الباحث والمبحوث وخاصة في مواقف المقابلة ، ومن الأساليب المعروفة في تسلسل الأسئلة ما يسمى بالترتيب القمعي وذلك بأن يبدأ الباحث بتوجيه سؤال عام جدا وغير مقيد ويليه بعد ذلك أسئلة تضيق وتتخصص بالتدريج.

ويجب أن نتابع الأسئلة في تسلسل منطقي حتى يتسنى لأفراد البحث أن ينظموا أفكارهم ويجب تقسيم الأسئلة إلى مجموعات متناسقة توضع لها عناوين فرعية وخاصة إذا كان الباحث متشعبا ويشمل أكثر من ظاهرة واحدة ، ويجب أن تعطي الأسئلة أرقاما مسلسلة حتى يمكن الاستدلال على أي سؤال بسهولة.

3- اختبار الاستمارة قبل تعميم تطبيقها على المبحوثين

ينبغي قبل النزول إلى الميدان أو إرسال الاستمارات لأفراد البحث تجربة الاستمارة على مجموعة منهم مع مراعاة أن تكون المجموعة المختارة من الناس متفقة في خواصها وصفاتها مع أفراد البحث لكي يصح الاسترشاد بإجاباتهم في حذف أو توضيح بعض الأسئلة إذا ما اقتضى الأمر ذلك، وترجع أهمية اختبار الاستمارة قبل تعميمها على المبحوثين إلى ما يأتي:-

1. تحديد درجة استجابة المبحوثين للبحث بصفة عامة وللاستمارة على وجه الخصوص.
2. تحديد طول الاستمارة والزمن الذي يستغرقه الباحث في ملئها.
3. تحديد صعوبات اللغة ومعرفة ما إذا كانت الألفاظ والعبارات في مستوى فهم المبحوثين أم لا.
4. الوقوف على الأثر الذي يحدثه تتابع أسئلة الاستمارة لإرجاء بعض الأسئلة التي تبدو أنها محرجة إلى أجزاء أخرى من الاستمارة ، ويستحسن أن يتم هذا الاختبار بطريق المقابلة الشخصية لملاحظة سلوك الأفراد وقت الإجابة ومناقشتهم في بعض الأسئلة والاستفادة من الملاحظات التي يبدونها.

وإذا قام الباحث بهذه التجربة فإن هناك دلائل تدله على اشتمال الأسئلة على نواح تحتاج إلى تعديل وأهم هذه الدلائل ما يأتي:-

1. عدم انتظام توزيع الإجابات على الأسئلة ، فالإجابات التي لا يمكن تجميعها في رتب ومجموعات والتي لا تتبع نظاما معقولا عادة ما تكون لعيب أو عيوب في نظام الأسئلة.
2. قد يحصل الباحث على استجابة واحدة لا تتغير من جميع أفراد العينة ردا على سؤال من أسئلة الاستمارة ومثل هذه الأسئلة يجب إسقاطها أو تعديلها.
3. إذا كثرت الاستجابات المحايدة أو من نوع "غير متأكد" أو "لا أعرف" دل ذلك على أن السؤال المستخدم يحتاج إلى تعديل أو حذف ، وقد يكون سبب ذلك أنه يمس مشكلة صعبة الحل، أو أن السؤال غامض غير محدد، أو أنه يمس ناحية لا يرغب الأفراد في الإفصاح عنها.
4. إذا امتنع كثيرون عن الإجابة فقد يكون ذلك نتيجة لطريقة صياغة الأسئلة وعلى الباحث أن يعدلها ويربها من جديد.
5. قد تكون هناك تعليقات كثيرة على الاستمارة في الوقت الذي تكون فيه الأسئلة من النوع المقيد.

6. إذا اختلفت النتائج التي يحصل عليها الباحث بتغيير ترتيب الإجابات المعطاة دل ذلك على أن الأسئلة تحتاج إلى تعديل.

- وبعد تجربة الاستمارة ينبغي تعديل الأسئلة بما يتلاءم مع النتائج التي أسفرت عنها التجربة، وإذا كانت التعديلات جوهرية في تصميم الاستمارة أو في صياغة أسئلتها، فإن من الواجب إعادة اختبارها إلى أن تصبح وحداتها منسجمة وقادرة على التمييز وتقيس ما يجب قياسه فعلا، وتكون عباراتها قد مرت في سلسلة من التهذيب والتعديل عن طريق اختيار أصلحها وأكثرها تحقيقا لغرض البحث.

4- تنسيق الاستمارة وإعدادها في صورتها النهائية.

بعد أن ينتهي الباحث من الخطوات السابقة تكون الاستمارة قد مرت في سلسلة من التهذيب والتعديل تجعلها أداة صالحة لتحقيق أغراض البحث ولكي تكتمل الفائدة لابد من العناية بتنسيق الاستمارة وإعدادها بطريقة مشوقة تثير اهتمام المبحوثين وتحفزهم على الاستجابة وتدفعهم إلى التعاون مع الباحث.

ويتطلب الاستبيان اهتماما اكبر بتنسيق الاستمارة لأن الباحث أو من ينوب عنه يتولى بنفسه شرح الغرض من البحث في موقف المقابلة وهو الذي يملؤها بنفسه، أما في الاستبيان وخاصة الذي يرسل بالبريد، فإن المبحوث يحكم على البحث بما يراه وهو في تلك الحالة لا يرى إلا الاستمارة التي تتولى مهمة التعريف بالبحث والقائمين به، فإذا كان إعدادها محكما وشكلها العام مناسبا وطريقة عرضها منسقة ، زاد إقبال المبحوثين على الاستجابة وكثرت نسبة الردود.

ولتنسيق الاستمارة وإعدادها في صورتها النهائية ينبغي إتباع ما يأتي:-

1. يجب أن يكون حجم الاستمارة مناسبا ونوع الورق جيدا يمكن الكتابة عليه بالحبر أو بالقلم أو باستخدام الآلة الكاتبة ، ويمكن تداوله بين الباحثين والمبحوثين والمرمزين دون أن يفقد شكله أو يتمزق، كما يجب أن تكون الاستمارات ذات أحجام متساوية وذلك لتسهيل وتبسيط الأعمال المكتبية الخاصة بتصنيف البيانات من جانب وحفظ الاستمارات وتداولها من جانب أخر.

2. لوحظ أن ألوان الورق المستخدم في الاستبيان وألوان الكتابة يؤثر في وضوح الأسئلة ويشجع المبحوثين على الإجابة ، وقد أظهرت التجارب أن اللون الأسود على الأرضية الصفراء يعتبر من الدرجة الأولى لترتيب الوضوح في القراءة ، ويعتبر اللون الأحمر على الأرضية الخضراء اقل درجات الوضوح إذ ظهر أن ترتيبه الثالث عشر والأخير في مراتب الوضوح في القراءة.

3. إذا كانت الاستمارة مكونة من عدة صفحات فيفضل أن تكون على شكل كراسة، وإذا استدعي الأمر ثنى الاستمارة فيجب أن يكون ذلك في أماكن غير مخصصة للإجابة.

4. في حالة ما إذا كان الباحث يرغب في المقارنة بين استجابات مجموعات من الأفراد فيفضل وضع علامات مميزة على الاستمارات لتسهيل التعرف على كل فئة منها، ومن أمثلة هذه العلامات تلوين أطراف الاستمارات وتثقيب إحدى الزوايا ووضع أرقام تحت أطرافها واستخدام حرف أبجدي لكل منها واستخدام شعار معين أو صورة رمزية لكل فئة.

5. في الاستبيان البريدي يفضل أن يكون طلب الإجابة على أسئلة الاستمارة في شكل خطاب موجه إلى المبحوث ويحدد فيه الباحث عنوان البحث واسم الهيئة المشرفة عليه، والغرض منه مع دعوة المبحوث إلى ملء الاستمارة وإعادتها والإشارة إلى ما يفيد سرية البيانات وعدم استخدامها إلا لغرض البحث العلمي.

6. يجب طبع الاستمارة على وجه واحد فقط لتكون سهلة القراءة ويستحسن عدم كتابة أكثر من سؤال واحد على السطر الواحد، وأن يخصص أمام أو تحت كل سؤال المكان الكافي للإجابة عليه، ولا تطلب الإجابة على ورقة منفصلة.

7. يجب تقسيم الأسئلة إلى مجموعات توضع لها عناوين واضحة ويجب إعطاء الأسئلة أرقاما مسلسلة، وفى حالة الرغبة في استخدام الآلات الإحصائية يفضل وضع دليل رقمي "Code" لإجابات كل سؤال.

8. في استمارة المقابلة يجب تخصيص مساحة كافية لتسجيل البيانات المميزة مثل رقم الاستمارة والمكان والتاريخ والاسم والحالة الزوجية والمهنية وعدد الأبناء..... ويفضل أن ترد هذه البيانات في نهاية الاستمارة بعد أن يكون المبحوث قد أجاب على أسئلة الاستمارة بحرية وصراحة.

9. يجب توضيح المصطلحات المستخدمة في الاستمارة وتحديدها لمساعدة المبحوث على الإجابة الصحيحة على الأسئلة ، وفى استمارة المقابلة ينبغي كتابة التعليمات في صفحة منفصلة لمساعدة جامعي البيانات على أداء مهمتهم أثناء ملء الاستمارات ويجب أن تتوافر في هذه التعليمات البساطة والإيجاز والوضوح.

10- في الاستبيان البريدي ينبغي إرسال الاستمارة ومعها مظروف معنون عليه طابع بريدي لتيسير مهمة الرد بالنسبة للمبحوثين.

أسئلة المحاضرة الثالثة عشرة

السؤال الأول :

عددي / عدد خطوات اعداد استمارة المقابلة والاستبيان مع شرح واحدة منها.

المحاضرة الرابعة عشرة

مراجعة عامة

الموضوع الأول خطوات المنهج العلمي

الخطوة الأولى : الملاحظة والتجربة

حيث تعتمد الملاحظة العلمية على نظريات دعمتها حقائق العلم فكثيرا ما يسترشد الباحث بإحدى النظريات العلمية في توجيه ملاحظاته إلى عوامل ومتغيرات Variables جديدة أو في تفسير ملاحظاته تفسيرا علميا صحيحاً . وقد استفادت العلوم الطبيعية من هذا الأسلوب في البحث ، وكلما زادت قوانين العلم ونظرياته كانت الملاحظة العلمية أكثر دقة ووضوحاً.

الخطوة الثانية :وضع الفروض العلمية

تعتبر الفروض العلمية مجرد أفكار مبدئية تتولد في عقل الباحث عن طريق الملاحظة والتجربة وهذه الأفكار ينبغي أن تكون قابلة للاختيار العلمي الدقيق. وتعتمد الفروض على خبرة الباحث السابقة في موضوع بحثه وما يتصل به من موضوعات ، كما تعتمد على قدرة الباحث على استغلال معلوماته السابقة وإلمامه بمختلف جوانب الثقافة القائمة في المجتمع وقد تأتى الفروض للباحث كإلهام مفاجئ نتيجة تفكيره المستمر وبحثه المتواصل في الظاهرة التي يقوم بدراستها .

الخطوة الثالثة: اختبار الفروض

حيث تعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل البحث فالفرض في حد ذاته ليست له قيمة علمية ما لم تثبت صحته إثباتاً موضوعياً مقنعاً وغالباً ما يؤدى الفرض إلى إجراء التجارب والقيام بملاحظات جديدة وذلك للتأكد من صدقه والتثبيت من صحته.

الخطوة الرابعة : الوصول الى تعميمات علمية

فإذا أيدت التجارب والملاحظات صحة فرض من الفروض دون أن يوجد فرض آخر يناقضه أو يتعارض معه فإن الفرض الصادق ينتقل إلى مرحلة القانون وكثيرا ما توحي عدة فروض صحيحة بتكوين قانون واحد كما توحي فروض غيرها بتكوين قانون ثان وثالث وهكذا.

الخطوة الثالثة: اختبار الفروض

حيث تعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل البحث فالفرض في حد ذاته ليست له قيمة علمية ما لم تثبت صحته إثباتاً موضوعياً مقنعاً وغالباً ما يؤدى الفرض إلى إجراء التجارب والقيام بملاحظات جديدة وذلك للتأكد من صدقه والتثبيت من صحته.

الخطوة الرابعة : الوصول الى تعميمات علمية

فإذا أيدت التجارب والملاحظات صحة فرض من الفروض دون أن يوجد فرض آخر يناقضه أو يتعارض معه فإن الفرض الصادق ينتقل إلى مرحلة القانون وكثيرا ما توحي عدة فروض صحيحة بتكوين قانون واحد كما توحي فروض غيرها بتكوين قانون ثان وثالث وهكذا.

القوانين والنظريات العلمية

القوانين

تسعى جميع العلوم على اختلاف موضوعاتها إلى تحديد القوانين التي تخضع لها الظواهر التي تقوم بدراستها ، ويعرف القانون بأنه عبارة عن " علاقة ضرورية تقوم بين ظاهرتين أو أكثر" والقوانين العلمية نوعان : سببية ووظيفية ، والقانون السببي هو الذي يعبر عن كل علاقة ثابتة بين ظاهرتين يؤدى التغير الذي يطرأ على خواص إحداهما إلى تغير في خواص الظاهرة الأخرى . **ما هي القوانين الوظيفية؟**

وتعبر القوانين العلمية عن سلوك ظواهر مقيدة تحت ظروف معينة ومن الخطأ الاعتقاد بأن القوانين العلمية مطلقه بمعنى أنها غير محدودة بحدود الزمان والمكان .

عدد/ عددي خصائص القوانين.

النظريات العلمية

يزداد يقين العلماء بالنظريات كلما أيدتها التجارب من ناحية وكلما فسرت أكبر عدد من الظواهر والقوانين من ناحية أخرى، ولابد للنظريات أن تتطور دائما مع تطور العلم ويدلنا تاريخ أي علم من العلوم على أن نظرياته تتطور مع الزمن، ولهذا يقول كلود برنارد : أن النظريات العلمية ليست إلا درجات نستريح لديها حتى نتقدم في البحث وهى تعبر عن المرحلة الراهنة لمعرفتنا ولذا يجب ألا نؤمن بها إيماننا بعقائد الدين وأن نعدلها تبعا لتقدم العلم.

تحدثي / تحدث بالتفصيل عن أهمية النظريات العلمية

الموضوع الثالث الدعوة إلى استخدام المنهج العلمي في دراسة المجتمع

1- ابن خلدون

كان (ابن خلدون) أول عالم يدعو في صراحة ووضوح إلى ضرورة استخدام المنهج العلمي في دراسة المجتمع ولقد كانت الفكرة السائدة بين المفكرين الاجتماعين من قبل (ابن خلدون) أن ظواهر الاجتماع خارجة عن نطاق القوانين وخاضعة لأهواء القادة وتوجيهات الزعماء والمشرعين ودعاة الإصلاح ولذا لم يكن من الممكن أن تدرس الظواهر الاجتماعية بنفس الطرق والأساليب المستخدمة في العلوم الطبيعية.

وقد بدأ (ابن خلدون) منهجه بنقد الطرق التقليدية السائدة في عصره وخاصة الطريقة التاريخية، فهو يرى أن الروايات التاريخية التي ذكرت عن الماضي ليست جميعها صحيحة فبعضها قد حدث فعلاً، وبعضها زائف لم يقع أصلاً ، وبعضها يستحيل حدوثه لأنه لا يتفق مع طبائع الأشياء، ويذكر (ابن خلدون) عده أمور تؤدى بالمؤرخين إلى الوقوع في أخطاء علمية وهذه الأمور هي :

1- الأمور الذاتية

2- الجهل بالقوانين التي تخضع لها الظواهر الطبيعية

3- الجهل بالقوانين التي تخضع لها الظواهر الاجتماعية

وقد نصح (ابن خلدون) - بعد نقده للطرق التقليدية في عصره - باستخدام الملاحظة والمنهج المقارن في دراسة المجتمع ويتلخص المنهج الذي حدده (ابن خلدون) فيما يلي:-

1- ملاحظة الظواهر ملاحظة مباشره

2- تعقب الظاهرة الواحدة في تاريخ الشعب الواحد في مختلف الفترات التاريخية مع تحرى صدق الروايات التاريخية

3-مقارنه الظاهرة بغيرها من الظواهر المرتبطة بها في نفس المجتمع وفي غيرها من المجتمعات

4- الاهتمام بدراسة الجوانب الديناميكية (التطورية) للظواهر الاجتماعية إلى جانب العناية بدراسة الجوانب الاستاتيكية (التشريحية).

5-استخدام منطق التعليل للوصول إلى القوانين العامة التي تحكم الظواهر المختلفة

2- فيكو

دعا العلامة الايطالي (فيكو) إلى استخدام منهج علمي مشابه للمنهج الذي حدد قواعده (ابن خلدون) فبدأ - كما بدأ ابن خلدون- بنقد الطريقة التقليدية التي كانت سائدة في عصره ثم نصح باستخدام المنهج الاستقرائي والمقارنة في دراسة ظواهر الاجتماع واتفق مع (ابن خلدون) في اعتقاده بأن الظواهر الاجتماعية تسير وفقا لقوانين كظواهر الطبيعة تماما.

وقد اهتم (فيكو) بفلسفة التاريخ فانصرف إلى دراسة الوثائق الخاصة بالحوادث التاريخية والعقائد الدينية والتقاليد التشريعية والعادات الخلقية واللغات التي كتبت بها هذه الوثائق، ودعا في كتابه العلم الحديث La Science Nouvelle إلى استنباط النظريات من الحقائق التاريخية كما دعا إلى تطبيق منهج العلوم الطبيعية على دراسة الظواهر الإنسانية وباستخدام المقارنة لاستنباط القوانين

3- أوجست كونت

دعا (أوجست كونت) إلى استخدام المنهج الوضعي في الدراسات الاجتماعية، وكلمة "وضعي" مرادفة لكلمة "علمي" في لغة كونت ، ولذا فهو يهدف من وراء هذا المنهج إلى دراسة الظواهر الاجتماعية دراسة وصفية تحليلية منظمة لمعرفة ما تخضع له من قوانين.

ولكي نقف على حقيقية المنهج الوضعي لابد لنا من الإشارة إلى قانون الحالات الثلاث الذي انتهى إليه (أوجست كونت) والذي اهتدى بفضله إلى وضع علم الاجتماع وما يلزمه من أساليب منهجية.

وقد قسم كونت ظواهر الاجتماع إلى شعبتين كما فعل ابن خلدون، وسمى إحداهما "الاستاتيكا الاجتماعية" والأخرى "الديناميكا الاجتماعية" وتختص الأولى بدراسة الاجتماع الإنساني في تفاصيله ومن ناحية استقراره، كدراسة الأسرة والمجتمع والحكومة وتقسيم العمل وما إلى ذلك من موضوعات، وتختص الثانية بدراسة الاجتماع الإنساني في جملته ومن ناحية تطوره

كانت دعوة (أوجست كونت) إلى استخدام المنهج العلمي في دراسة المجتمع ومطالبته بإتباع أساليب المنهج الطبيعي كالملاحظة والتجربة ثم بالاستعانة بالمنهج المقارن وبالطريقة التاريخية الاجتماعية ذات أثر كبير في توجيه الدراسات الاجتماعية وجهة تجريبية أمبيريقية.

وقد دعمت هذه الدعوة الاتجاهات العلمية في الدراسات الاجتماعية إلا أن كونت نفسه لم يستطيع التحرر تماما من أساليب التفكير الفلسفي، فبدلا من أن يبتدئ بدراسة الحالات الجزئية ليصل منها إلى القوانين العامة كما هو الحال في المنهج الاستقرائي اتجه كونت وجهة أخرى فوضع القوانين والنظريات العامة ثم حاول أن يفسر على ضوئها حقائق الاجتماع.

4- اميل دوركايم

يعتبر إميل دور كايم زعيم المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع والتي أثرت ولا تزال تؤثر حتى وقتنا هذا في توجيه البحوث الاجتماعية، وقد اهتم دور كايم بتحديد مناهج البحث التي ينبغي استخدامها في الدراسات الاجتماعية ويعتبر كتابه "قواعد المنهج في علم الاجتماع" من خير ما كتب في هذا الميدان .

وقد ابتدأ دور كايم بتعريف الظاهرة الاجتماعية وتحديد خواصها فقال أنها تتميز بخاصتين رئيسيتين هما :

1- القهر : فالظاهرة الاجتماعية تستطيع أن تفرض نفسها على الفرد أراد ذلك أم لم يرد، والفرد لا يشعر بهذا القهر أو لا يكاد يشعر به حينما يستسلم له بمحض اختياره ، ومما يدل على وجود القهر الاجتماعي أن الفرد إذا حاول الخروج على إحدى الظواهر الاجتماعية فإنها تتصدى لمقاومته بصور مختلفة

2- الموضوعية : فالظواهر الاجتماعية لها وجود مستقل خارج شعور الفرد وهى سابقة في الوجود على الوجود الفردي بمعنى أن الأفراد منذ ولادتهم يخضعون لنظم وظواهر اجتماعية سابقة على وجودهم في الحياة .

وقد طالب دور كايم بتطبيق قواعد المنهج الاستقرائي في الدراسات الاجتماعية ووضع قواعد خاصة بملاحظة الظواهر الاجتماعية .

الموضوع الرابع دعاوى معارضين استخدام المنهج العلمي في دراسة المجتمع

بالرغم من أن تاريخ العلم يدل على أن كثيرا من الموضوعات التي لم يكن في الاستطاعة دراستها في القرن الماضي دراسة علمية صحيحة قد أمكن إخضاعها في الوقت الحاضر للبحث العلمي الدقيق، فلا يزال بعض العلماء والفلاسفة يرددون الادعاءات القديمة ويقولون باستحالة دراسة الظواهر الاجتماعية بإتباع قواعد المنهج العلمي، وتتركز دعاوى هؤلاء المعارضين حول ما يلى

- ❖ بتعقد المواقف الاجتماعية
- ❖ استحالة إجراء التجارب في الدراسات الاجتماعية
- ❖ تعذر الوصول إلى قوانين اجتماعيه
- ❖ وبُعد الظواهر الاجتماعية عن الموضوعية
- ❖ عدم دقه المقاييس الاجتماعية

وسنعرض لشرح بعض هذه الاعتراضات تفصيليا فيما يلى

1- تعقد المواقف الاجتماعية

تخضع الحياة الاجتماعية لعدد كبير من المؤثرات النفسية والطبيعية والثقافية والاجتماعية فالجماعات البشرية تتكون من مجموعات من الأفراد يختلفون فيما بينهم من النواحي النفسية، كما أنهم يتأثرون بالوسط الطبيعي الذي يعيشون فيه ويخضعون للمؤثرات الجغرافية كالموقع والسطح والمناخ والموارد، ثم أنهم يتأثرون في نفس الوقت بالظروف الثقافية الاجتماعية التي تسود مجتمعهم كالعرف والتقاليد وأنظمة الحكم ونماذج العلاقات الاجتماعية التي تحددها المكانات والطبقات الاجتماعية، ولذا فإن الظواهر الاجتماعية التي تنبثق في الجماعة من اجتماع الأفراد ومن تبادل آرائهم ووجهات نظرهم وانصهار رغباتهم وإرادتهم الخاصة تبدو في نظر المعارضين غاية في التعقيد وعدم الوضوح بحيث يصعب فهمها واكتشاف القوانين العامة التي تحكمها.

والواقع أنه لا ينبغي التسليم بهذا القول تسليما مطلقا، فالقول بأن المواقف الاجتماعية أكثر تعقيدا من المواقف الفيزيقية ناشئ من أن المعارضين يقومون بمقارنه الظواهر الاجتماعية التي بدأ العلماء الاجتماعيون في دراستها دراسة علمية منظمة منذ وقت قريب بظواهر العلوم الطبيعية التي توفر العلماء منذ قرون طويلة، وما لاشك فيه أن الظواهر الطبيعية في القرن الحادي عشر الميلادي كانت تبدو في غاية التعقيد والغموض وقد أمكن تبسيطها بفضل الجهود الطويلة التي بذلها العلماء الطبيعيون طول القرون الماضية، فإذا أردنا أن نقيم مقارناتنا على أساس علمي سليم فلتكن المقارنة بين الصورة التي تبدو عليها الظواهر الاجتماعية في الوقت الحاضر وبين ما كانت تبدو عليها الظواهر الطبيعية في القرن الحادي عشر.

2- استحالة إجراء تجارب في العلوم الاجتماعية

يرى المعارضون لمبدأ تطبيق المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعية أن استخدام التجارب في العلوم الاجتماعية أمر مستحيل، فالتجارب في نظرهم تقوم على مبادئ أساسية أهمها التحديد والضبط والتحكم من جانب الباحث، أو بعبارة أوضح يقوم الباحث في العلوم بتحديد عناصر الظاهرة التي يريد دراستها ويعمل على عزلها عن غيرها من العناصر ثم يتحكم فيها صناعيا حتى لا يمكنه أن يتوصل إلى تحقيق الظروف المماثلة مره أخرى على اعتبار أن عوامل الزمان والمكان ثابتة لا تتغير، ولما كان المنهج التجريبي يعتمد على الفكرة القائلة بأن الأمور المماثلة تحدث في الظروف المتماثلة، فإن هذا المنهج في رأيهم يمتنع تطبيقه في العلوم الاجتماعية لأن الظواهر الاجتماعية فردية فريدة في نوعها، ولا تتكرر بنفس الصورة وحتى إن أمكن تطبيقه فهو منهج عديم النفع لأنه ما دامت الظروف المتماثلة لا تتحقق إلا في حدود ضئيلة فلن يكون لأيه تجربة تجرى في الدراسات الاجتماعية إلا دلاله محدودة جدا.

كما أن الباحث في العلوم الاجتماعية حين يحلل ويحدد ويفرد لابد من أن ينتزع عناصر من موقف كلى عام، تتداخل فيه هذه العناصر المكونة وتتشابك، لا كتشابك اللحمة والسداة، وإنما تتداخل تداخلا معقدا تعقيدا تاما وعلى هذا فإن عزل عناصر الظاهرة الاجتماعية من شأنه أن يجردها من دلالتها الاجتماعية والتاريخية، ويجعلها غير ذات معنى.

ورداً على هذا الاعتراضات أنه ليس من الضروري كما سبق أن وضحنا أن يكون ثمة تحكم من جانب الباحث في التجربة التي يجريها، فكما توجد التجارب الصناعية التي تتم في المختبر العلمي توجد التجارب التي تخلفها الطبيعة والتي لا يسعى الإنسان إلى تهيئتها أو خلق الظروف اللازمة لها.

3- تعذر الوصول إلى قوانين اجتماعية

يرى المعارضون لمبدأ تطبيق المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعية أن الوصول إلى قوانين اجتماعية تشبه في دقتها قوانين العلوم الطبيعية أمر بعيد المنال لعده أسباب أهمها:-

أ- تخضع المجتمعات المختلفة للتغير الاجتماعي المستمر، ولذا فإن الظروف المتماثلة تظل على حالها فقط خلال الفترات التاريخية المختلفة، ومن ثم لا يوجد في المجتمع اطراد طويل الأمد يصلح أن يكون أساس للتعميمات البعيدة المدى .

ب- لا تخضع الظواهر الاجتماعية لمبدأ الحتمية الذي تخضع له الظواهر الطبيعية وذلك بسبب الحرية التي يتمتع بها الإنسان، فالناس هم الذين يصنعون أقدارهم وفي استطاعتهم أن يغيروا سلوكهم طبقا لحالاتهم النفسية وتبعا للظروف التي تحيط بهم لذا فإن من المستحيل التنبؤ بسلوكهم الاجتماعي ووضع مبادئ عامة لهذا السلوك ولا يمكن أيضا باصطناع هذه المبادئ اكتشاف أنماط سلوكهم الماضية أو المستقلة،

ج- مما يزيد من صعوبة وضع القوانين التي تساعد على التنبؤ الصحيح في العلوم الاجتماعية ذلك التأثير المتبادل بين التنبؤات والحوادث المتنبأ بها

وفي رأينا أن سرعة التغير الاجتماعي لا تتعارض مع كون الظواهر الاجتماعية تسير وفقا لقوانين ثابتة من الممكن اكتشافها والوصول إليها، ثم إن التغير الاجتماعي لا ينبغي أن يصرفنا عن البحث العلمي بل ينبغي أن يحفزنا إلى ابتداع مناهج وأساليب متنوعة تختلف عن المناهج والأساليب التي يستعان بها في دراسة المجتمعات المستقرة نسبياً.

أما عن مبدأ الحتمية فنحن نرى أن الأفراد في المجتمعات لا يتصرفون بطريقة عشوائية وإنما يخضعون لمؤثرات البيئة الطبيعية والاجتماعية والثقافية ، وهذه المؤثرات تجعلهم يسلكون سلوكا معينا لا يمكنهم أن يحيدوا عنه، وقد دلت البحوث في ميدان علم النفس الاجتماعي على أن الأفراد في المجتمعات المختلفة ريفية كانت أو حضرية لا يمكنهم أن يتحرروا من قوه العادات والتقاليد بالصورة التي تجعل كلا منهم يواجه التأثيرات والقوى الاجتماعية الخارجية بمفرده،

أما عن التأثير المتبادل بين التنبؤات والحوادث المتنبأ بها وإمكان تغيرها فقد سبق أن بينا من شروط القانون العلمي ألا يكون مطلقا، وإنما يشترط لحدوثه توافر ظروف معينة فإذا تغيرت الظروف فإننا نكون بصدد حالة جديدة غير التي نص عليها القانون، وتغير الظروف لا يغير من صحة القانون في شيء لأنه يظل صحيحا وصادقا في الأحوال والظروف التي أشار إليها، ومن الضروري أن نشير هنا إلى أن التنبؤات غير المشروطة كتلك الأمثلة التي يسوقها المعارضون عن ارتفاع الأسهم في الأسواق أو اختفاء إحدى السلع تختلف اختلافا كليا عن التنبؤات العلمية المشروطة التي تشير إليها القوانين.

4- بعد الظواهر الاجتماعية عن الموضوعية

يرى المعارضون لاستخدام المنهج العلمي في الدراسات الاجتماعية أن الظواهر الاجتماعية مرتبطة بالجانب الذاتي للإنسان ولا يمكن دراستها بالطرق الموضوعية، فالباحثون الاجتماعيون أفراد يعيشون في المجتمعات ويتفاعلون مع أوضاع الحياة القائمة فيها ويؤثرون ويتأثرون بما يقدمون بدراسته، ويقلبون ألوانا معينة من أساليب التفكير والسلوك القائمة في مجتمعاتهم، ومن هنا يذهب المعارضون إلى أننا ينبغي أن نتوقع أن آراء ، وبسمات العصر الذي يعيشون فيه، ولذا فإن من العسير في نظرهم تحقيق الموضوعية وضمانها في الدراسات الاجتماعية .

ويمكن إجمال العوامل التي قد تبعد الباحثين عن الموضوعية فيما يلي :

- ❖ تأثير الدوافع الخاصة
- ❖ تأثير العادة
- ❖ تأثير الموقف الاجتماعي،
- ❖ تأثير قيم الأفراد فيما يقومون بدراسته.

فالدوافع الخاصة كثيراً ما تلون نظرة الإنسان إلى الأمور ، فتجعله يتعصب لأفكاره ومعتقداته أو يتحيز لرأى دون آخر مبتعداً عن الحقائق الموضوعية التي يسفر عنها البحث العلمي.

أما عن تأثير العادة فإن كثيرا من المعتقدات التي تنشر في المجتمعات لا تقوم على أساس علمي صحيح، وبالرغم من ذلك فإن الأفراد يقبلونها بحكم العادة ويسلمون بها دون نقد أو تمحيص، وقد يصعب على الباحث الاجتماعي أن يجرد نفسه من تأثيرها أو يكتشفها لشده ذيوعها والتسليم المطلق بصحتها

5-عدم دقة المقاييس الاجتماعية

يرى البعض أن العلوم الطبيعية تخضع للقياس الكمي الذي يساعد على التنبؤ الدقيق بخلاف العلوم الاجتماعية التي يغلب عليها الطابع الكيفي، وتتميز النواحي الكمية على النواحي الكيفية في أن الأخيرة تكشف عن وجود الصفة ومدى اختلافها عن الصفات الأخرى، بينما تكشف الأولى عن مقدار وجود الصفة أو مستواها، فإذا قلنا مثلا أن الجوانب المادية للثقافة تتغير بسرعة أكبر من الجوانب المعنوية فإن هذا القول يعبر تعبيرا كيفيا عن الاختلاف في سرعة التغير دون أن يعبر بالقياس الكمي الدقيق عن مدى هذا الاختلاف، ويتمسك المعارضون بأن القوانين الاجتماعية إذا فرض وجودها فإن من الممكن وصفها بالألفاظ والتعبير عنها تعبيرا كيفيا فقط، ولا يمكن صياغتها أو التعبير عنها في صور كمية دقيقة.

غير أن هذه الصعوبة ليست ذات خطر فالطابع الكيفي أو الكمي ليس أصيلا في الظواهر وإنما توصف الطرق التي تستخدمها في وصف الظواهر أو قياسها بأنها كيفية أو كمية ومن الملاحظ أن كل العلوم التي وصلت إلى المرحلة الكمية قد مرت بالدور الكيفي، فقديما كان يقال إن الأشياء باردة أو ساخنة، ثقيلة أو خفيفة، إلى أن ظهرت مقاييس دقيقة أمكن بمقتضاها تحديد هذه الصفات تحديدا كميا والتعبير عنها بلغة الأرقام.

وبتقدم العلوم الاجتماعية سيصبح من المستطاع إخضاع جميع الظواهر الاجتماعية للقياس الكمي الدقيق وقد أمكن في الوقت الحالي التغلب على كثير من الصعوبات المتصلة بالقياس وذلك بتطبيق الأساليب الإحصائية واستخدام النماذج الرياضية في الدراسات الاجتماعية، وسيأتي اليوم الذي تصبح فيه نتائج الدراسات الاجتماعية من أدق النتائج وأقربها إلى الصواب.

الموضوع الخامس المدخل التكاملي في دراسة المجتمع

أسس الدراسة المتكاملة

يستند المدخل التكاملي إلى نموذج تصوري عنصري يقوم على النظرة الكلية للمجتمع على أساس الترابط والتساند بين مختلف الظواهر والنظم الاجتماعية.

ويرى (سوروكنSorokin) أن التصور المتكامل لظواهر الحياة الاجتماعية يستند إلى مجموعة من العناصر منها ما يشير إلى طبيعة الواقع الاجتماعي، ومنها ما يرتبط بالمكونات البنائية للظواهر الاجتماعية، ومنها ما يعبر عن الصورة التي تترابط بها الظواهر الاجتماعية.

فالواقع الاجتماعي يسمو على كل من الواقع الفيزيقي والواقع العضوي الحيوي، ذلك أن الواقع الاجتماعي يحتوى على عناصر رمزية تتمثل في المعاني والقيم والمعايير، وهذه العناصر لها دلالتها الجوهرية في التفرقة بين المستويات الثلاثة من الواقع: العضوي، وما دون العضوي، وما فوق العضوي.

وافتراض وجود واقع متميز للظواهر الاجتماعية تترتب عليه نتيجتان منطقيتان هما تفسير هذه الظواهر – أساسا- بظواهر من نفس مستواها واستخدام بناء منهجي يتلاءم مع الطبيعة الخاصة للظواهر الاجتماعية في حدود المنطق العام للبحث العلمي دون الالتزام بالبناء المنهجي الذي يستخدم في العلوم الطبيعية.

أما من حيث مكونات الظواهر الاجتماعية فهي تتألف من عناصر ثلاثة رئيسية يتمثل العنصر الأول منها في المعاني والقيم والمعايير التي تفرض نفسها على الظواهر العضوية وما دونها من ظواهر، ويتمثل العنصر الثاني في مجموعة كائنات بشرية- أفراد- يخضعون لتفاعل اجتماعي تمليه وتنظمه المعاني والقيم والمعايير، أما العنصر الثالث فيتمثل في الوسائل والأدوات المادية التي تتجسد بمقتضاها ما تحمله المعاني والقيم والمعايير من رموز وهو ما يمكن تسميته بالأساس المادي للمجتمع.

ويتحقق وجود الظواهر الاجتماعية - استنادا إلى مكوناتها- في مستويات ثلاثة: المستوى الأيديولوجي القائم في عقل الفرد والجماعة والمستوى المادي الذي يجسده كل ما يحويه الأساس المادي للمجتمع من أدوات ووسائل مادية.

ولهذا كانت هناك ثلاثة جوانب رئيسية لظواهر الحياة الاجتماعية هي : الجانب الثقافي والجانب الاجتماعي والجانب الشخصي، وهذه الجوانب الثلاثة ترتبط فيما بينها برباط عضوي وثيق ويترتب على هذا الرباط نتيجة منطقية مهمة هي أن أي نظرية تحاول وصف وتفسير ظاهرة المجتمع دون أن تأخذ في الاعتبار مكونات المجتمع وعناصر الثقافة والشخصية تعتبر نظرية قاصرة.

دراسة المجتمع وأبعاد الدراسة التكاملية

لما كان المدخل التكاملي يستند إلى نموذج تصوري عضوي نسقى ينظر إلى المجتمع كوحدة متكاملة متماسكة فإن من الضروري أن تتضمن أبعاد الدراسة جميع الوقائع الاجتماعية بجوانبها المتعددة وعلاقاتها المتشابكة وهذه الأبعاد هي :

1- البعد الايكولوجي

لكل مجتمع إقليم خاص يرتبط به ويشغل رقعة محدودة من الأرض وتحيط به ظروف بيئية وجغرافية معينة تؤثر بطريق مباشر أو غير مباشر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية السائدة فيه، وتطبعها بطابع مميز وقد تقبل العلماء الاجتماعيون هذه الحقيقة وإن كان بعضهم قد بالغ فيها أشد المبالغة فذهب إلى حد القول بنوع من الحتمية الجغرافية، فأرجع إلى البيئة الجغرافية اختلاف الأمم في القوانين والشرائع والتقاليد والعادات ومستوى الحضارة وشكل الحكومة ونظم السياسة والاقتصاد والحرب والأخلاق ودرجة تكاتف السكان وتخلخلهم ومدى ما ينعم به الشعب من حرية واستقلال أو ما يعانيه من تبعية وخضوع .

بيد أن العلماء المحدثين لم يعودوا في جملتهم يسلمون بهذه الحتمية الجغرافية الجامدة رغم اعترافهم بوجود علاقات قوية بين ظروف البيئة والحياة الاجتماعية.

ولذا فإن من الضروري عند دراسة المجتمع التعرف على الظروف الجغرافية التي تميز كل مجتمع عن غيره من المجتمعات ومدى تأثير تلك الظروف على التوزيعات السكانية والأوضاع والأحوال الاجتماعية والثقافية السائدة.

2- البعد البشرى

الأفراد في المجتمع هم القوة المؤثرة في تطوره، ولذا فإن من الضروري الاهتمام بدراسة البناء الديموجرافي في المجتمع من حيث حجم السكان وفئات السن وتوزيع الذكور والإناث ونسب الكثافة السكانية وعلاقتها بالموارد الاقتصادية ومعدلات النمو السكاني ونسب المواليد والوفيات وحجم الهجرة الداخلية والخارجية والآثار المترتبة على هذه الهجرات والسياسات السكانية ذلك لأنه لا توجد ظاهرة اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو عمرانية إلا ولها اتصال مباشر أو غير مباشر بالجانب الديموجرافي وأي تغير يحدث في البناء الديموجرافي كفيل بأن يحدث تغييرات كبيرة في التنظيم الاجتماعي القائم.

3- البعد الاجتماعي

يتألف البعد الاجتماعي من الجماعات والعلاقات والظواهر والنظم والأنساق التي يتألف منها المجتمع.

ولذا ينبغي لتكوين صورة متكاملة عن المجتمع دراسة الجماعات القومية والسلالية والثقافية وكذلك دراسة البناء الطبقي للوقوف على طبيعة ونوعية العلاقات الاجتماعية السائد بين مختلف الجماعات والطبقات .

كما ينبغي دراسة النظم الاجتماعية الأساسية كالنظام الاقتصادي والنظام السياسي والنظام الأسرى والنظام الديني والنظام التربوي والنظام الترويحي ونظام الرعاية الاجتماعية إلى غير ذلك من نظم.

4- البعد الثقافي

يقول (كسنجزلى ديفيز) لو أن هناك عاملا وحيدا لتفسير تفرد الإنسان وتفرد مجتمعه الإنساني وتميزه فلا شك أن هذا العامل هو الثقافة، فذكاء الإنسان وحديثه ولغته كلها أمور تحكمها الثقافة التي تقوم بتجسيد طرق التفكير والسلوك من

خلال التفاعل الاجتماعي القائم على الاتصال بين مكونات المجتمع، ويذهب ديفيز إلى أبعد من ذلك بإشارته إلى أن الثقافة لا تكسب الإنسان تفرد هو تميزه فحسب بل أنها تميز المجتمع الذي يعيش فيه عن غيره من المجتمعات.

والثقافة تشتمل على الأفكار والعادات والمعتقدات والعرف والرموز وأنماط القيم وجوانب التكنولوجيا ولذا ينبغي أن تتضمن الدراسة التكاملية للمجتمع كافة الجوانب الثقافية سواء أكانت مادية أو معنوية حيث أنها توجه وتضبط سلوك الأفراد في المواقف الاجتماعية المختلفة كما أن العلاقات الاجتماعية التي هي جوهر البناء الاجتماعي عبارة عن أنماط منظمة ومتكررة من التفاعل بين الناس وهذه الأنماط تأخذ شكلها وانتظامها وتكرارها من خلال الثقافة.

5- البعد التاريخي

الظواهر الاجتماعية كالظواهر التاريخية زمانية في أغلب الأحوال وإن كان أغلب الاجتماعيين يميلون إلى سلب الظواهر الاجتماعية صفه الزمانية إلا أنها ولا شك ترتبط ارتباطا وثيقا بوقائع المجتمع الماضية، تأثرت بها في نشأتها ونموها كما تدين إليها بوجودها الحالي.

ولذا فلابد للباحث أو الدارس من الرجوع إلى الماضي لتعقب الظواهر منذ نشأتها والوقوف على عوامل تغيرها وانتقالها من حال إلى حال.

الموضوع السادس الاتجاهات العامة في تصنيف المناهج

الاتجاهات العامة في تصنيف المناهج

يختلف المشتغلون بمناهج البحث في تصنيفهم للبحوث، ففريق منهم يقتصر على تصنيف البحوث في فئات وأنماط عريضة على أساس الهدف الرئيسي للبحث، وهذا ما فعلته جاهودا وزملاؤها سنه 1951، وما فعلته سيللتز وزملاؤها سنه 1959، وفريق آخر يضع تصنيفات لأنماط ومناهج البحث معا، وهذا ما فعله هويتنى سنه 1937، وفريق ثالث يفصل بين الاثنين في غالب الأوقات ويقدم تصنيفات للمناهج فقط وهذا ما أقام به ماركيز وجود وسكيتس وأودم وكثيرون غيرهم.

ويمكن أن نجمل أوجه الاختلاف بين تصنيفات أنماط البحوث وبين تصنيفات المناهج فيما يلي:-

- تصنف البحوث إلى أنماط على أساس الهدف الرئيسي للبحث، أما تصنيفات المناهج فإنها تتحدد بالطريقة التي يتبعها الباحث لحل المشكلة .
- تصنيفات أنماط البحوث تعتبر تصنيفات عريضة مرنه، أما تصنيفات المناهج فإنها أكثر تحديدا ولذا فقد يستعين الباحث في النمط الواحد من الدراسة بأكثر من منهج مثال ذلك البحوث الوصفية التي يدخل تحتها- حسب تصنيف هويتنى- أنواع أخرى من البحوث مثل: الوصف على مدى طويل وتحليل العمل والنشاط والبحث المكتبي والوثائقي، ومن هنا يحدث التداخل بين تصفيات أنماط البحوث (أنواع الدراسات) وبين تصنيفات المناهج، فيطلق البعض على منهج المسح الاجتماعي اسم المنهج الوصفي وهذا القول صحيح إلى حد كبير لأن المسح الاجتماعي ليس إلا نوعا من أنواع الدراسات الوصفية ولكننا من ناحية أخرى لا نستطيع أن نقصر البحوث الوصفية على المسح الاجتماعي.

أولا : تصنيف هويتني

يربط هويتني بين العمليات العقلية المختلفة اللازمة للتفكير في موضوع معين وبين مناهج البحث، فيرى أنه إذا كانت ثمة ظاهرة أو مشكلة أو موقف يستدعى الدراسة والبحث، فإنه ينبغي البدء بوصف الظاهرة كما هي ومحاولة تفسيرها في ضوء البيانات المتوفرة، وينبغي الرجوع بعد ذلك إلى ما كانت عليه الظاهرة في الماضي لمعرفة اتجاهاتها، ومحاولة تفسيرها في ضوء الحقائق والأحداث الماضية ولتكتمل النظرة إلى الظاهرة ينبغي على الباحث أن يحاول التنبؤ بما يمكن أن تكون عليه الظاهرة في المستقبل .

وفي بعض الأحيان يحاول الباحث أن يختبر إحدى النظريات ويخضعها للنقد فيستعين بالتجريب القائم على ضبط المتغيرات المختلفة، وإلى جانب العمليات العقلية السابقة التي اشتركت في محاولة فهم الظاهرة، وينبغي أن تشترك العمليات العقلية العليا بقصد الوصول إلى تعميمات فلسفية أبعد غورا وأكثر عمومية.

ويرى هويتني إلى جانب هذا أن العمليات العقلية المختلفة تتناول الجماعات والعلاقات والنظم الاجتماعية أو تنصب على نواحي التفكير الإبداعي التي ينتج من ورائها تأليف قصيدة أو مسرحية أو مقطوعة موسيقية..... الخ .

وعلى أساس هذه العمليات العقلية يضع هويتني تصنيفيه لمناهج البحث ويشتمل هذا التصنيف على المناهج والأنماط الآتية:

1- المنهج الوصفي

وهو الذي يهدف إلى جمع الحقائق والبيانات عن ظاهرة أو موقف معين مع محاولة تفسير هذه الحقائق تفسيرا كافيا، ويحذر هويتني من الاقتصار على جمع البيانات لمجرد الرغبة في جميع البيانات دون محاولة تحليلها وتفسيرها لاستخلاص دلالاتها، كما هي الحال في بعض التقارير الإحصائية التي يقوم بها طلبة الجامعات.

ويرى هويتني أن أمثال تلك التقارير لا تعتبر بحوثا عملية بالمعنى الصحيح، إذ يعوزها التحليل الدقيق أما البحوث الوصفية فيجب ألا تنحصر أهدافها في مجرد جمع الحقائق، بل ينبغي أن تتجه إلى تصنيف البيانات والحقائق وتحليلها تحليلا دقيقا كافيا، ثم الوصول إلى تعميمات بشأن الموقف أو الظاهرة موضوع الدراسة .

ويصنف هويتني البحوث الوصفية في خمسة أنماط أو فئات، ولا يخضع هذا التصنيف لقواعد وإنما يخضع للعوامل المؤثرة في البحث كالمجال المكاني والمجال البشرى وأدوات جميع البيانات وتشتمل البحوث الوصفية على الأنماط الخمسة الآتية :-

أ- البحث المسحي

ب- الوصف على مدى طويل

ج- بحث دراسة الحالة

د - تحليل العميل والنشاط

هـ- البحث المكتبي والوثائقي

2- المنهج التاريخي

يعتمد على الظواهر التاريخية بعد وقوعها ويستفيد بالماضي في فهم وتفسير الحاضر، ولا يمكن للباحث أن يفهم الماضي إلا إذا مر بمرحلتين أساسيتين وهما مرحلتا التحليل والتركيب، وتبدأ المرحلة الأولى بجمع الوثائق ونقدها والتأكد من شخصية أصحابها، وتنتهي إلي تحديد الحقائق التاريخية الجزئية، ثم تبدأ المرحلة الثانية عندئذ فيحاول الباحث تصنيف هذه الحقائق والتأليف بينها تأليفا عقليا.

3- المنهج التجريبي

وهو الذي يستخدم التجربة في قياس أثر المتغيرات المختلفة وقد سبق أن عرفنا التجربة بأنها ملاحظة مقصودة تحت الضبط الناتج عن التحكم.

4- النمط الفلسفي للبحث

ويرى هويتنى أن الاتجاه الفلسفي ضروري للبحث وتبدو أهميته في خطوتين رئيسيتين إحداهما عند تحديد الأهداف الرئيسية للبحث والأخرى عند الوصول إلي مرحله التعميم، وهو يرى أن التعميمات كلما كانت أبعد غورا وأكثر عمومية وشمولا كانت أكثر دلالة وأعظم فائدة، ويرى أيضا أن البحث العلمي والفلسفي لا ينفصلان، فالحقائق العلمية يمكن أن تتخذ أساسا لنظريات فلسفية يمكن أن تخضع بالتالي للبحث العلمي.

5- النمط التنبؤي للبحث

وينصب على كل البحوث التي تهدف إلي التنبؤ بما يمكن أن يحدث في المستقبل لظاهرة معينة، ولا يقصر هويتنى النمط التنبؤي على البحوث التجريبية، فأي بحث يعتبر تنبؤا إذا كان يهدف إلي التنبؤ بحقائق مستقبلة، ويضرب أمثلة كثيرة من البحوث التاريخية يؤيد بها وجهة نظره.

6- النمط السوسيولوجي

وهو الذي يهدف إلى دراسة المجتمع وظواهره ونمطه والعلاقات القائمة بين أفراده، ويتناول هذا النوع من البحث الميادين التي يبحثها عالم الاجتماع.

7- النمط الإبداعي

ويهدف هذا النوع من البحث إلي دراسة العوامل المختلفة التي تحكم عمليه الخلق الإبداعي في العلم والفن والأدب، وتقييم الأسس التي تقوم عليها هذه العلميات الإبداعية وهو يرى أن لهذا النوع من البحث أهمية خاصة لأن العمليات الإبداعية كثيرا ما تنشأ نتيجة لحاجة خاصة تشعر بها الجماعة .

ثانيا : تصنيف ماركيز

يرى ماركيز أن مناهج البحث الاجتماعي الرئيسية هي :

1- المنهج الانثروبولوجي

2- منهج دراسة الحالة

3- المنهج الفلسفي

4- المنهج التاريخي

5- المسح الاجتماعي

6- المنهج التجريبي

ثالثا : تصنيف جود وسكيتس

قدم جود وسكيتس تصنيفا لمناهج البحث الاجتماعي، ويشتمل هذا التصنيف على خمسة مناهج هي:-

1. المنهج التاريخي
2. المنهج الوصفي
3. المنهج التجريبي
4. منهج دراسة الحالة
5. المنهج التتبعى

وقد سبق أن عرضنا لخصائص ومميزات كل منهج من هذه المناهج في التصنيفات السابقة.

رابعا تصنيف أودم

يشتمل تصنيف أودم على المناهج الخمسة التالية:-

1. المنهج الإحصائي

2. منهج دراسة الحالة
3. المسح الاجتماعي
4. المنهج التجريبي
5. المنهج التاريخي

الموضوع السابع المسح الاجتماعي

1- تعريف المسح الاجتماعي

يعرف هويتني المسح الاجتماعي بأنه محاولة منظمة لتقرير وتحليل وتفسير الوضع الراهن لنظام اجتماعي أو جماعة أو بيئة معينة، وهو ينصب على الموقف الحاضر وليس على اللحظة الحاضرة، كما أنه يهدف إلى الوصول إلى بيانات يمكن تصنيفها وتفسيرها وتعميمها وذلك للاستفادة بها في المستقبل وخاصة في الأغراض العملية .

وتتفق تعريفات المسح الاجتماعي في أنه:-

1. الدراسة العلمية للظواهر الموجودة في جماعة معينة وفي مكان معين .
2. وأنه ينصب على الوقت الحاضر حيث إنه يتناول أشياء موجودة بالفعل وقت إجراء المسح وليست ماضية.
3. وأنه يتعلق بالجانب العملي إذا يحاول الكشف عن الأوضاع القائمة لمحاولة النهوض بها ووضع خطة أو برنامج للإصلاح الاجتماعي.

ونود أن نشير هنا إلى أن المسح الاجتماعي وإن كانت تغلب عليه الصبغة العملية إلا أن بعض المسوح تنصب على الجانب النظري والأمثلة على ذلك كثيرة ومتعددة.

هذا واصطلاح المسح مستعار من ميدان الدراسات الطبيعية، فكلمة "تمسح" الأرض لتحديد مساحتها ومعرفة خصائصها الجيولوجية والسطحية والجوية، "تمسح" الظاهرة الاجتماعية لتحديد طبيعتها ومعرفة خصائصها التي تتعلق بتركيبها ووظائفها من جهة، وسلوك الأفراد في تعاملهم بعضهم مع بعض من جهة أخرى .

2- أهمية المسح الاجتماعي

المسح الاجتماعي أحد المناهج الرئيسية التي تستخدم في البحوث الوصفية، ويعرف بأنه الدراسة العلمية لظروف المجتمع وحاجاته بقصد تقديم برنامج إنشائي للإصلاح الاجتماعي، وتكمن أهمية المسح الاجتماعي فيما يلى :

1. تعتبر المسوح الاجتماعية ذات فائدة نظرية، فالباحث الاجتماعي يلجأ إليها بعد أن تكون قد أجريت بحوث كشفية على الظاهرة موضوع الدراسة، فيحاول جمع الحقائق عن الظاهرة وتحليلها وتفسيرها للوصول إلى تعميمات بشأنها، وتتوقف الأهمية النظرية للدراسات المسحية على مقدار ما أسفرت عنه الدراسات السابقة وعلى مدى معرفة الباحث بالظاهرة المدروسة، ففي بعض الأحيان قد يصمم البحث المسحي للتحقق من صحة بعض ، وإن لم تكن هذه الفروض من النوع الذي يقول بأن متغيرا ما يصيب أو يحدث المتغير الآخر.
2. يستفاد بالمسح الاجتماعي في عمليات التخطيط القومي التي تستهدف تنمية الحساه الاجتماعية والاقتصادية وتوفير الرعاية والرخاء لأفراد المجتمع في فترة زمنية محدودة، ولما كان التخطيط القومي يستلزم التعرف على الأهداف المختلفة للجماعة وقياسها كماً وكيفاً،

وترتيبها حسب أولويتها، واستقصاء رغبات الأفراد والجماعات، والتعرف على ميولهم واتجاهاتهم والكشف عن الموارد الطبيعية والقوى والإمكانيات البشرية وتقديرها وكيفية ومدى استغلالها، فإنه يتحتم القيام بمسح اجتماعي لجمع البيانات المطلوبة، وتجمع البيانات عادة قبل البدء في البرامج المختلفة، وأثناء وبعد تنفيذ البرامج، أما البيانات الأولى فتجمع في "المسح القبلي" وتجمع الثانية والثالثة في "المسح الدورى" و"المسح البعدى" .

3. يستفاد بالمسح الاجتماعي دائما في دراسة المشكلات الاجتماعية القائمة وتحديد مدى تأثيرها على المجتمع، وتحديد ومعرفة الأفراد والجماعات المهتمة بحل هذه المشكلات وتقدير الموارد والإمكانيات الموجودة والتي يمكن استخدامها لعلاج المشكلات ثم اقتراح الحلول لها.

4. يستفاد بالمسح الاجتماعي في قياس اتجاهات الرأي العام نحو مختلف الموضوعات وقد يتطلب الأمر في كثير من الأحيان قياس الاتجاهات في مراحل مختلفة لتقويم الجهود المبذولة أو للمقارنة بين طرق مختلفة لتغير الاتجاهات، وهذا يحدث عادة في ميادين متعددة مثل ميادين الصناعة لإدخال تحسينات في إنتاج معين، والإعلام لوضع برامج جديدة للراديو والتلفزيون أو حذف بعض البرامج أو تعديلها، والتربية وغيرها من الميادين.

3- أنواع المسوح الاجتماعية

وضع المشتغلون بمناهج البحث الاجتماعي تصنيفات متعددة للمسوح الاجتماعية وسنكتفي في هذا المجال بعرض ثلاثة من تلك التصنيفات.

أ- من ناحية مجال الدراسة

تصنف المسوح الاجتماعية من ناحية مجال الدراسة في مجموعتين هما:-

1. المسوح العامة
2. المسوح الخاصة أو المحددة

ب- من ناحية المجال البشرى

تصنف المسوح الاجتماعية من ناحية المجال البشرى الى :

1. المسوح الشاملة :
2. المسح بطريقة العينة.

ج- من الناحية الزمنية

تنقسم المسوح إلى أنواع الثلاثة:

1- قبلية 2- دورية 3-بعدية

4- موضوعات المسح الاجتماعي

لم تعد المسوح الاجتماعية تدور حول دراسة الطبقات الفقيرة كما كان الحال في الماضي، وإنما تعددت موضوعات المسح وتشعبت بحيث شملت معظم الظواهر والمشكلات الاجتماعية ويمكن أن نجمل موضوعات المسح فيما يلي:-

1. دراسة الخصائص الديموغرافية - أي السكانية- لمجموعة من الناس، وتشمل هذه الدراسة معرفة حالة الأسرة من ناحية عدد الأبناء والسن ودرجة الخصوبة وما إلى ذلك من معلومات وبيانات تتعلق بهذه الناحية السكانية، ويتركز اهتمام مصالح الإحصاء بجمع بيانات خاصة بالتكوين الديموغرافي كما تهتم المسوح جميعا بجمع بيانات متعلقة بهذه الناحية.
2. دراسة الجوانب الاجتماعية والاقتصادية لجماعة من الجماعات
3. دراسة الجوانب الثقافية المرتبطة بالعادات والتقاليد والقيم والمعايير السلوكية.
4. دراسة آراء الناس واتجاهاتهم ودوافع سلوكهم، وهذه الدراسات تلقى الكثير من الضوء على سلوك أفراد المجتمع ومن أمثلة هذه الدراسات ما يأتي:-

أ- دراسات الرأي العام

ب- دراسات التسويق

ج- دراسات جمهور المستمعين لبرامج الإذاعة والتلفزيون

5 - خطوات المسح الاجتماعي

يمر المسح الاجتماعي في عده مراحل يمكن تحديدها فيما يلي:-

أولا : رسم الخطة.

ثانيا : جمع البيانات من الميدان.

ثالثا : تحليل البيانات.

رابعا: عرض النتائج وكتابة التقرير.

الموضوع الثامن منهج دراسة الحالة

1- المقصود بمنهج دراسة الحالة

يطلق على منهج دراسة الحالة في الفرنسية اسم "المنهج المونوجرافي" والمونوجرافيا تعنى وصف موضوع مفرد، ويقصد بها علماء الاجتماع الفرنسيون القيام بدراسة وحدة مثل الأسرة أو القرية أو القبيلة أو المصنع دراسة مفصلة مستفيضة للكشف عن جوانبها المتعددة والوصول إلى تعميمات تنطبق على غيرها من الوحدات المتشابهة.

أما العلماء الأمريكيون فقد وضعوا تعريفات متعددة لمنهج دراسة الحالة، وتنفق أغلب التعريفات على أن منهج دراسة الحالة هو المنهج الذي يتجه إلى جمع البيانات العلمية المتعلقة بأية وحدة سواء أكانت فرداً أو مؤسسة أو نظاماً اجتماعياً أو مجتمعاً محلياً أو مجتمعاً عاماً، وهو يقوم على أساس التعمق في دراسة مرحلة معينة من تاريخ الوحدة أو دراسة جميع المراحل التي مرت بها وذلك بقصد الوصول إلى تعميمات علمية متعلقة بالوحدة المدروسة وبغيرها من الوحدات المتشابهة لها.

وفي ضوء التعريفات المختلفة لمنهج الدراسة الحالة يمكن تحديد العناصر الأساسية للمنهج فيما يلي:-

1. ليس من الضروري أن تكون الحالة جماعة أو نظاماً اجتماعياً أو مجتمعاً محلياً، فقد تكون فرداً.
2. طالما أن منهج دراسة الحالة ينصب على دراسة الوحدات الاجتماعية سواء أكانت وحدات كبيرة أو صغيرة فإن الوحدة الصغيرة قد تكون جزءا من حالة في إحدى الدراسات، بينما تكون حالة قائمة بذاتها في دراسة أخرى، فإذا كان البحث مثلاً ينصب على دراسة مجتمع محلى ، فإن ذلك المجتمع يكون بمثابة الحالة، بينما تصبح الأنظمة الاجتماعية والجماعات المكونة للمجتمع المحلى وكذلك الأفراد بمثابة أجزاء أو مواقف أو عوامل داخله في تكوين الحالة، وإذا كان موضوع الدراسة منصبا على المؤسسات الاجتماعية فإن كل مؤسسة اجتماعية تعتبر بمثابة حالة، بينما يصبح الأفراد مجرد أجزاء أو مواقف أو عوامل داخله في تكوين الحالة، أما إذا كان موضوع الدراسة منصبا على الأفراد فإن كل فرد من الأفراد يعتبر حالة قائمه بذاتها.
3. يقوم المنهج على أساس التعميق في دراسة الوحدات المختلفة وعدم الاكتفاء بالوصف الخارجي أو الظاهري للموقف.
4. يهدف المنهج إما إلى تحديد مختلف العوامل التي تؤثر في الوحدة المدروسة أو الكشف عن العلاقات السببية بين أجزاء الظاهرة .

2- الفرق بين منهج دراسة الحالة فى البحث الاجتماعي وفى خدمة الفرد

يختلف منهج دراسة الحالة – كما يستخدم في البحث الاجتماعي – عن منهج دراسة الحالة الذي يستخدم في خدمة الفرد فيما يلي:-

1- حينما يستعين الباحث الاجتماعي بمنهج دراسة الحالة فإنه يجمع البيانات لتصنيفها وتحليلها والمقارنة بينها رغبة في الوصول إلى تعميمات بالنسبة للظواهر المدروسة، أما في خدمة الفرد فإن دراسة الحالة تتجه أساسا إلى فهم شخصية الفرد (العميل)، والتعرف على سمة الحياة التي يحياها، والكشف عن الظروف التي ظهرت فيها المشكلة التي يعانيها على أساس أن كل حالة متميزة عن غيرها من الحالات ، وبعبارة أخرى فإن الأخصائي الاجتماعي في خدمة الفرد يتجه إلى التخصيص أكثر مما يتجه إلى التعميم، إذ أنه يركز اهتمامه على الجوانب البارزة المميزة لشخصية الفرد (العميل) على حين أن الباحث الاجتماعي يتجه إلى التعميم أكثر مما يتجه إلى التخصيص.

2- في البحث الاجتماعي يقدم الباحث نتائجه دون أن يضع في اعتباره مسألة العلاج المباشر، أما في خدمة الفرد فإن الأخصائي الاجتماعي حينما يجمع الحقائق عن الحالة فإنه يستخدمها في التشخيص والعلاج، ويتفق المتخصصون في خدمة الفرد على أن الدراسة والتشخيص والعلاج عمليات ثلاثة مترابطة ومتكاملة ، فعملية الدراسة يتبعها تفكير تشخيصي يقوم على أساس تفهم المواقف وتفسير المسببات وربطها بالنتائج وتحليل العلاقات بينها ثم الوصول إلى العلاج الذي هو الهدف النهائي لعمليات خدمة الفرد.

3- دراسة الأفراد باستخدام منهج دراسة الحالة

يرجع أغلب المشتغلين بمناهج البحث ظهور هذا المنهج واستخدامه بطريقة علمية منظمة إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر حينما استعان "لوبلى" بمنهج دراسة الحالة في دراسة أحوال الأسر العاملة في فرنسا.

ويمكن تعريف منهج دراسة الحالة – حينما تكون الوحدة فرداً- بأنه الطريقة المنظمة لجمع بيانات كافية عن شخص معين باعتباره وحدة من وحدات المجتمع، بقصد التعرف على طبيعة المراكز التي يشغلها في المجتمع، والأدوار التي يقوم بها، وكذا الطريقة التي يتصرف بها في المواقف الاجتماعية المختلفة.

وفى دراسة الحالات الفردية ينبغي التأكد مما يلى:-

كفاية البيانات: وذلك بجمع بيانات متعمقة عن مختلف جوانب الحالة، وهذه البيانات كثيراً ما تتناول النواحي النفسية والعضوية والصحية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية للحالة.

صدق البيانات: وللتأكد من صدق البيانات ينبغي الرجوع إلى مصادر أخرى كالتقارير والبيانات الرسمية الموثوق بصحتها، ومراجعة البيانات التي أدلى بها المبحوث على البيانات الرسمية للتأكد من صدقها.

ضمان سرية التسجيل: ينبغي أن يعمل الباحث على منع تسرب البيانات إلى أشخاص آخرين قد يكون في استطاعتهم إلحاق الضرر بالمبحوث نتيجة لإدلائه بالبيانات اللازمة للبحث.

ضمان صحة التعميمات العلمية: وذلك بأن تكون التعميمات متمشية مع النتائج التي حصل عليها الباحث وفى حدود الحالات التي دخلت في نطاق البحث وكذلك الحالات المشابهة لها.

4- دراسة المجتمعات المحلية باستخدام منهج دراسة الحالة

يعرف المجتمع المحلى بأنه مساحة أو مكان للحياة الاجتماعية يتميز بدرجة من الترابط الاجتماعي ، وأسس المجتمع المحلى هي الدائرة المكانية وعاطفة الجماعة، ويرى "ماكيفر" أن السمة المميزة للمجتمع المحلى هي أن المرء يمكنه أن يحيا حياته كلها في داخله، فالإنسان مثلا لا يستطيع أن يحيا حياته كلها في داخل مؤسسة تجارية أو داخل كنيسة بينما يستطيع أن يفعل ذلك في داخل قرية أو مدينة، وعلى ذلك فالصفة الأساسية للمجتمع المحلى هي أن كل علاقات الفرد الاجتماعية يمكن أن توجد في داخله.

لوا تختلف خطوات دراسة المجتمعات المحلية عن الخطوات التي تتبع في أي بحث علمي ، إلا أننا نود أن نشير في هذا المجال إلى عدة أمور ينبغي مراعاتها عند الدراسة أهمها:-

- ينبغي أن يحدد الباحث مشكلة الدراسة تحديدا دقيقا ، وأن يجعلها على درجة كبيرة من الوضوح ، ومن الضروري أن يحدد الباحث أيضا ما إذا كان يرغب في إجراء بحثه مستعينا بفروض محددة أو أنه يرغب في النزول إلى الميدان ليسجل كل شيء عن المجتمع من غير أن يضع فروضاً محددة، وقد سبق أن أوضحنا أهمية الفروض وخاصة في المجالات التي ارتادها الباحثون من قبل ، وقلنا أنها توجه الباحث إلى نوع الحقائق التي يجب أن يبحث عنها بدلا من تشتت جهوده دون غرض محدد ، كما أنها تساعد على الكشف عن العلاقات الثابتة التي تقوم بين الظواهر.

- من أهم شروط دراسة المجتمعات المحلية التحديد الواضح للمجتمع، لذا ينبغي على الباحث أن يحدد ما إذا كان يرغب في دراسة مجتمع صغير قائم بذاته أو في دراسة مجتمعات تعتبر أجزاء من مجتمع أكبر، وقد كان الاعتقاد السائد بين علماء الأنثروبولوجيا الاهتمام فقط بدراسة المجتمعات البدائية التي تعتبر مجتمعات قائمة بذاتها، إلا أن الاتجاه الحالي بين هؤلاء العلماء قد تحول إلى دراسة المجتمعاتالتي تعتبر أجزاء من مجتمعات أكبر ، ولذا فإن منن الضروري في مثل هذه الأحوال العناية بتحديد المجتمع تحديدا دقيقا، خاصة وأنه ليست هناك حدود واضحة المعالم تفصل بين مجتمع وآخر نظرا لأن الفواصل بين المجتمعات ليس لها وجود واقعي ملموس نتيجة للتفاعلات الاجتماعية المتبادلة بين المجتمعات.

- في بعض الأحيان يحاول الباحث أن يتخير مجتمعا يمثل مجتمعات متعددة ويشترك معها في كثير من الخصائص كالتركيب السكاني والتكوين العنصري والمستوى الاجتماعي والاقتصادي ، وفى هذه الحالة ينبغي على الباحث أن يحدد خصائص النموذج وأن يحدد نواحي التشابه والاختلاف بينه وبين غيره من المجتمعات.

- ينبغي على الباحث قبل أن يقرر اختياره النهائي لمجتمع ما أن يكون متأكدا من توفر الإحصاءات والبيانات والمصادر التاريخية التي تعطي صورة واضحة عن المجتمع وخصائصه وتطوره، وان يتعرف على الصعوبات التي قد تعترض سير البحث وأن يفكر في طرق مواجهة تلك الصعوبات حتى إذا أيقن أن في استطاعته تذليلها ، أمكنه أن يمضى في بحثه وهو على ثقة من أمره.

- يجب تحديد الطريقة التي تجمع بواسطتها البيانات ، فإذا كان الباحث يهدف إلى دراسة المجتمع ككل فيمكنه الاستفادة بالخرائط والرسوم المختلفة ، وإذا كان يهدف إلى دراسة الجماعات والأنظمة القائمة بالمجتمع فيمكنه الاستفادة بالوثائق التي تلقى الضوء على حقيقة الجماعات المكونة للمجتمع، كما يجدر به الاعتماد على ملاحظات كبار السن والنزول إلى الميدان لجمع البيانات بواسطة الملاحظة بالمشاركة وإذا كان يهدف إلى دراسة الأفراد فيمكنه الاستفادة بالاستبيان والمقابلة الشخصية.

- ينصح بعض المشتغلين بمناهج البحث بعدم دراسة المجتمعات المحلية في حالة التغير لقلة المصادر التاريخية عن تلك المجتمعات ولكثرة الصعوبات التي قد تعترض الباحث في الدراسة وفى رأينا أن دراسة المجتمعات في حالتها الديناميكية أمر له أهميته خاصة وان المجتمعات في حالة تغير مستمر ودراستنا لها في حالتها الاستاتيكية ليست إلا دراسة فرضية.

- يفضل أن يكون جامعو البيانات غرباء على المجتمع وذلك للأسباب الآتية:-

1. إذا كان جامع البيانات من خارج المجتمع فإن نظرته تكون أكثر موضوعية وواقعية.
2. يفضل الناس الشخص الغريب عن مجتمعهم عند إعطاء البيانات وذلك لأنه يترك المجتمع بعد الانتهاء من مهمته، وليس من صالحه أن يستغل المعلومات لصالح فريق من الناس دون الآخر.
3. إذا كان هناك نزاع بين الجماعات المكونة للمجتمع المحلى فإنه من الأفضل أن يقوم بجمع البيانات شخص محايد لا دخل له في النزاع القائم.
4. قد يتحرج الناس من التحدث عن مشكلاتهم أمام شخص يعرفونه ولكنهم لا يشعرون بالحرج أمام شخص غريب عنهم وعن مجتمعهم.
5. ينبغي إعداد المجتمع لعملية البحث قبل البدء فيه حتى يضمن الباحث المساعدة الكافية من جانب المبحوثين.

6. ينبغي أن يتجه الباحث بعد جمع البيانات وتصنيفها وتحليلها إلى تعميم النتائج التي وصل إليها على المجتمعات المتشابهة لأن الوصول إلى التعميم هو الهدف من الدراسات العلمية.

5- تسجيل البيانات وتصنيفها وتحليلها

تحدثي / تحدث عن اسلوب تسجيل البيانات وتصنيفها وتحليلها .

6- حدود منهج دراسة الحالة

يتشكك بعض الباحثين في أهمية منهج دراسة الحالة ومدى الاعتماد عليه في البحث لعدة عوامل أهمها:-

(1) عدم صدق البيانات التي يجمعها الباحث باستخدام هذا المنهج: فيرى "ريد بين" مثلاً أن سجلات الحياة لا تعطى نتائج صادقة للأسباب الآتية:-

- ✓ قد يسجل المبحوث الأقوال التي تتفق مع ما يريده الباحث أو ما يعتقد المبحوث أن الباحث يريده، وفى ذلك تحريف للحقائق عن موضعها.
- ✓ كثيراً ما يبتعد المبحوث عن ذكر الحقائق كما حدثت، فيحاول أن يكتبها من وجهة نظره مبرراً تصرفاته ، ومؤيداً نظرته إلى الأشياء والأشخاص.
- ✓ قد يحاول المبحوث تضخيم الحوادث ، وإضافة حوادث جديدة من نسخ خياله فيصعب على الباحث تحديد ما حدث منها وما لم يحدث.
- ✓ قد يتجه الباحث إلى الحقائق التي يريدها والتي تؤيد وجهة نظره مغفلاً الجوانب التي تناقض آراؤه ، ويضرب"ريد بين" مثالاً بمدارس التحليل النفسي ، ففرويد لا يرى في السجلات إلا عوامل الجنس، بينما يرى فيها "أدلر" مركب النقص ويرى فيها "يونج" عوامل الانطواء والانبساط.
- ✓ أغلب الحالات التي تقدم وثائق عن حياتها ليست إلا حالات شاذة ـ ولذا فإن تعميم النتائج من هذه الحالات لا يصدق على جميع الحالات القائمة في المجتمع.

5. كثيراً ما يحاول الباحث مساعدة الحالة، وفى هذه الحالة يصبح للجانب الذاتي تأثير كبير فيما يستخلصه الباحث من نتائج.
6. نادراً ما تتشابه مواقف الحالة مع غيرها من الحالات وبالنسبة لعدد كبير من المتغيرات.
7. تكتب الوثائق الشخصية بأسلوب الشخص نفسه ـ لذا فإن الباحث يقوم بتحديد المفاهيم والمصطلحات العلمية ثم يحاول أن يحول ما كتبه المبحوث إلى مفاهيم منطقية وفئات قابلة للتصنيف.

2) **عدم إمكانية تعميم النتائج التي يصل إليها الباحث عن طريق استخدام منهج دراسة الحالة:** وذلك لاختلاف الحالة عن غيرها من الحالات، وقد أشار "ريد بين" إلى هذه النقطة في اعتراضاته السابقة كما أشار إليها عدد كبير من الباحثين.

3) **يتكبد الباحث في دراسته للحالات كثيراً من الوقت والجهد والمال:** وهذا يقلل من أهمية هذا المنهج ومدى الاعتماد عليه في البحث.

وردا على الاعتراضات السابقة فإننا نقول إنه

بالنسبة للاعتراض الأول فإنه لا يوجه إلى المنهج بقدر ما يوجه إلى الأدوات التي يستخدمها في جمع البيانات كسجلات الحياة، ومن الممكن التأكد من صدق البيانات التي يحصل عليها الباحث بالرجوع إلى مصادر أخرى كالتقارير والبيانات

الرسمية الموثوق بصحتها ، ومراجعة البيانات الموجودة بسجلات الحياة أو التي أدلى بها المبحوث على البيانات الرسمية للتأكد من صحتها.

أما عن الاعتراض الثاني – وهو إمكانية التعميم- فإننا نقول بأن كل حالة من الحالات لا يمكن اعتبارها فردية فريدة في خصائصها ، وإنما تشترك مع غيرها في كثير من الخصائص ولتأييد وجهة نظرنا نضرب مثلاً بما جاء في دراسة الدكتور عاطف غيث عن قرية القيطون ، يقول الباحث " وتتشابه مع هذا النموذج أعداد كبيرة من القرى التي لها نفس الخصائص، حتى ليبدو أنني أدرس هذه القرى جميعاً مرة واحدة، ذلك لأنني لا أدرس مجتمعاً قائما بذاته بل أدرس مجتمعات لها خصائص متعددة لا تتشابه مع كثير غيرها في مجتمعنا فحسب، بل في مجتمعات متعددة من العالم".

أما عن الاعتراض الثالث فلا غير في أن يتكبد الباحث في دراسته بعض الجهد والوقت والمال طالما أنه يرغب في الوصول إلى نتائج متعمقة مستقصيه لها دلالتها العلمية، طالما أنه يرغب في الكشف عن العوامل الديناميكية المؤثرة في الموقف الكلي، فعلى قدر ما يبذل الباحث من جهد على قدر ما يحصل على نتائج دقيقة متعمقة.

الموضوع التاسع المنهج التاريخي

1- رواد المنهج التاريخي

تنبه عدد كبير من المفكرين الاجتماعيين إلى أهمية المنهج التاريخي ، فطالبوا باستخدامه في البحوث الاجتماعية، نذكر من بين هؤلاء ابن خلدون وفيكو وسان سيمون وأوجست كونت .

ابن خلدون

- فطن ابن خلدون إلى أن الظواهر الاجتماعية لا تثبت على حال واحدة، بل تختلف أوضاعها باختلاف المجتمعات، وتختلف في المجتمع الواحد باختلاف العصور، فمن المستحيل أن نجد مجتمعين يتفقان تمام الاتفاق في نظام اجتماعي معين وفي طرائق تطبيقه، كما أنه من المستحيل أن نجد نظاما اجتماعا قد ظل على حال واحدة في مجتمع معين في مختلف مراحل حياته.

- ولذا طالب ابن خلدون بملاحظة الظواهر ملاحظة مباشرة تم تعقب الظاهرة الواحدة في تاريخ الشعب الواحد في مختلف الفترات التاريخية مع تحرى صدق الروايات التاريخية، وقياس الاختيار بأصول العادة وطبائع العمران، فإذا لم يقس الغائب من الأخبار بالشاهد منها، والحاضر بالذاهب فربما لا يؤمن فيها من العثور ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق .

- وقد اعتمد ابن خلدون في بحوثه على ملاحظة ظواهر الاجتماع في الشعوب التي أتيح له الاحتكاك بها والحياة بين أهلها، وعلى تعقب هذه الظواهر في تاريخ هذه الشعوب نفسها في العصور السابقة لعصره وتعقب أشباهها ونظائرها في تاريخ شعوب أخرى لم يتح له الاحتكاك بها ولا الحياة بين أهلها، والموازنة بين هذه الظواهر جميعا، والتأمل في مختلف شئونها للوقوف على طبائعها وعناصرها وصفاتها وما تؤديه من وظائف في حياة الأفراد والجماعات، والعلاقات التي تربطها بعضها ببعض، والعلاقات التي تربطها بما عداها من الظواهر وعوامل تطورها واختلافها باختلاف الأمم والعصور، ثم الانتهاء من هذه الأمور جميعا إلى استخلاص ما تخضع له هذه الظواهر في مختلف شئونها من قوانين .

- وقد تعرض ابن خلدون للصعوبات التي تقابل الباحث الاجتماعي عند استخدامه للمنهج التاريخي نتيجة لعدم صدق بعض الروايات التاريخية، فبعضها صحيح حدث فعلا ، وبعضها زائف لم يقع أصلا ، وبعضها يستحيل حدوثه لأنه لا يتفق مع طبائع الأشياء، ولذا نصح ابن خلدون بعدم الثقة بالناقلين ثقة مطلقة وبتحري الدقة عند الرجوع إلى المصادر التاريخية ونادي بتحقيق الوقائع وتمحيصها قبل الأخذ بها.

فيكو

- **دعا فيكو في كتابه "العلم الحديث" إلى استنباط النظريات الاجتماعية من الحقائق التاريخية، وقد حدد القواعد الأساسية لهذا المنهج فيما يلي:-**

1. تحديد الظاهرة المراد دراستها والعمل على تعقبها خلال العصور التاريخية المختلفة للوقوف على تطورها وما تخضع له من قوانين.
2. جمع الوثائق المتعلقة بالعقائد الدينية والتقاليد والعادات الاجتماعية والحوادث التاريخية ذات الصلة بالظاهرة.
3. إذا أراد الباحث أن يقف على أحوال الشعوب المتأخرة في العصور القديمة وتعذر عليه أن يقف على أساليب الحياة ومستوياتها بالرجوع إلى الوثائق لزوال هذه الحالات من الحياة المتأخرة، فإن من الممكن الرجوع إلى الأقوام المعاصرة التي تعيش في نفس المستوى الذي كانت تعيش فيه الشعوب التي يدرسها والاستدلال بما هو معروف عما هو مجهول.
4. القيام بتحليل المصادر ونقدها للتأكد من صحتها.
5. الاعتماد على علم دراسة اللغات للتأكد من صحة الوقائع التي يذكرها المؤرخون، وفي رأيه أن اللغة هي التي تعبر تعبيرا صحيحا عن وقائع العصر وكل تطور في اللغة يصاحبه تطور في نمط الحياة السائد.
6. القيام بنصف الحقائق والتأليف بينها الوصول إلى معرفه القوانين التي تحكم الظاهرة موضوع الدراسة.

سان سيمون

يرى سان سيمون أن تاريخ الإنسانية سلسلة متصلة الحلقات يتصل ماضيها بحاضرها، بمستقبلها، وأن ملاحظة الماضي هي التي تعين على فهم الحاضر .

ولقد آمن سان سيمون بفكرة التقدم، كما آمن بأن الصراع من مستلزمات التقدم وفي رأيه أننا لا نستطيع تفسير التطور المستمر للظواهر الاجتماعية المختلفة إلا إذا عرفنا تاريخ التطور الذي مر به العقل الإنساني بوجه عام وتاريخ العلوم بوجه خاص ، وهذا التطور مر في مراحل ثلاثة هي : المرحلة الدينية ومرحلة وسط بين الدين والواقعية، ثم مراحله الواقعية، ومعنى ذلك أن يقوم الباحث بالربط بين الظاهرة التي يدرسها وبين الطابع الذي يميز كل عصر من العصور .

ويطالب سان سيمون بالاعتماد على الوثائق المحفوظة والسجلات الرسمية، والاهتمام بالمظاهر التي تتحدها العلوم في تطورها والوصول إلى القوانين العامة التي تخضع لها الظواهر والتي تساعد على التنبؤ العلمي.

ولقد أساء سان سيمون إلى منهجيه بأفكاره القبلية التي كونها عن تقدم الإنسانية، وبوضعه قانونا عاما يسرى على جميع المجتمعات بلا استثناء، مع أن الملاحظ هو وجود مجتمعات جزئية تختلف عن بعضها في طبيعتها وأنظمتها والظروف التي تخضع لها، وليس من الضروري أن يربط الباحث بين الظاهرة التي يدرسها وبين الفترة التي حددها سان سيمون.

أوجست كونت

أشرنا سابقا إلى أن كونت قام بتقسيم الظواهر الاجتماعية إلى شعبتين أطلق على الأولى منهما اسم "الاستاتيكا الاجتماعية" بينما أطلق على الأخرى اسم "الديناميكا الاجتماعية" وقد طالب كونت بالاعتماد على الملاحظة والتجربة والمنهج المقارن والمنهج التاريخي في دراسة الظواهر في حالتها الديناميكية.

ويهدف كونت من وراء استخدام المنهج التاريخي إلى الوصول إلى قوانين عامة تحكم ظواهر الاجتماعية في نموها وتطورها، فجميع الظواهر تتطور في وقت واحد ويؤثر بعضها في البعض الآخر ويتأثر به، ولا يستطيع تفسير سير التطور المستمر لإحدى هذه الظواهر دون أن تكون لدينا فكرة عامة عن تقدم الإنسانية جمعاء، ولتفسير سير التقدم وضع كونت قانون المراحل الثلاثة الذي سبقت الإشارة إليه.

وقد طالب كونت بأن يقوم الباحث بملاحظة الظواهر المختلفة والربط بينها ثم يشرع بعد ذلك في تقسيم طوائف الظواهر التي قام بملاحظتها، وتحديد الفترات والعصور التاريخية تحديدا دقيقا ليسهل عليه معرفه الاتجاهات العامة لكل مظهر من مظاهر التطور كالتطور السياسي أو الديني أو الاقتصادي والوصول إلى القوانين الخاصة بكل مظهر من هذه المظاهر .

2- خطوات البحث التاريخي

أولا : تحديد مشكله البحث

فيشترط في الظاهرة التي يختارها الباحث أن تكون ممتدة عبر التاريخ لها صفه الاستمرار والدوام النسبي بحيث يمكن تعقبها وتتبع مراحل التطور التي مرت بها والآثار المترتبة عليها، ومن أمثله هذه الظواهر نظام الزواج وما يخضع له من تغير خلال العصور، وتطور وسائل الإنتاج وصلتها بالعلاقات والأنظمة الاجتماعية المترتبة على ظواهر التحضر والتصنيع في المجتمعات المختلفة، فالباحث في أي ظاهرة من الظواهر السابقة لاغني له عن الرجوع إلى الماضي لتتبع الاتجاهات العامة التي مرت بها الظاهرة وللكشف عن القوانين العامة التي تحكمها .

ويراعى عند اختيار المشكلة: الأهمية العلمية للمشكلة ومران الباحث على المنهج التاريخي وطريقة استخدامه وتوفر الوثائق المتعلقة بالمشكلة، وجدة الموضوع مع مراعاة الزمن المخصص للبحث .

ثانيا: جمع الحقائق المتعلقة بالمشكلة .

- **بعد أن يستقر رأى الباحث على موضوع من الموضوعات، فإن من الضروري أن يقوم بحصر المصادر إلى تفيده في الحصول على بيانات عن موضوع بحثه، وتنقسم المصادر التاريخية إلى نوعين:-**

1. المصادر الأولية : وتشتمل الآثار والوثائق
2. المصادر الثانوية : وهى التي تنقل عن المصادر الأولية كما هو الحال عندما نجد بيانات مصلحه الإحصاء مثلا منقولة في المجلات العلمية أو في كتب المؤلفين الذين يكونون قد استفادوا من هذه البيانات أو تعرضوا لها بطريق أو بآخر.

تحليل المصادر ونقدها

بعد أن ينتهي الباحث من جمع الوثائق الخاصة به، تبدأ عمليه جديدة ألا وهى عملية تحليل الوثائق ونقدها، ويقوم الباحث الاجتماعي بهذه العملية إذا لم يكن قد سبقه المؤرخ وتزداد الحاجة إلى تحليل الوثائق ونقدها في حالة مرور زمن طويل بين الحادثة وبين تسجيلها واحتمال التحيز في التسجيل.

هذا والتحليل نوعان : أحدهما خارجي والآخر داخلي، ويستخدم التحليل الخارجي للتحقق من صدق النص التاريخي من جهة الشكل لا من جهة الموضوع في حين أن التحليل الداخلي ينصب على النص من ناحية الموضوع لا من ناحية الشكل، ولذا يعتبر التحليل الداخلي أعلى مرتبة وأسمى درجة من التحليل الخارجي، ويحدث في كثير من الأحيان أن يصعب الفصل بين هذين النوعين الخارجي حيث أنهما يتداخلان في أكثر من موضع.

ثالثاً: تصنيف الحقائق وتحليلها ومحاولة الربط بينها

يستطيع الباحث بمقتضى التحليل الداخلي للمصدر أن يحدد المعاني الحقيقة التي ترمي إليها محتويات الوثائق سواء أكانت هذه المعاني ظاهرة أو خفية، وأن يصل إلى مجموعات من الحقائق الجزئية ، وهذه الحقائق الجزئية لا تصبح لها قيمتها إلا إذا صنفت في طوائف تحتوى كل منها على أمور متجانسة وقد ابتكر العلماء الألمان طريقة تصنيف الحقائق التاريخية على أساس طبيعتها الداخلية إلى حقائق طبيعية ونفسية واجتماعية، والباحث الاجتماعي بالطبع لا تعنيه إلا الحقائق المتعلقة بالجانب الاجتماعي.

وللاستفادة من الحقائق الاجتماعية التي يتوصل إليها الباحث ، تصنف هذه الحقائق عادة على أساس المكان والزمان أو كليهما حتى يمكن الكشف عن الاتجاهات العامة موضوع الدراسة، ومعرفة العوامل والظروف التي خضعت لها في تطورها وتغيرها وانتقالها من حال إلى حال ، وقد اهتم أوجست كونت بهذه النقطة حينما أشار إلى أنه لتتبع نمو الظاهرة وتطورها ينبغي تقسيم التطور إلى مراحل أو سلاسل اجتماعية للوقوف على مبلغ ما أصابها من تحول في كل مرحلة.

رابعاً : عرض النتائج

بعد أن ينتهي الباحث من استخلاص الحقائق وإيجاد العلاقات وتعليل النتائج وتفسيرها ، تبدأ خطوة عرض النتائج وهي الخطوة الأخيرة في البحث، وتستلزم هذه الخطوة صياغة النتائج بحيث تتمشى مع الخطوات المختلفة التي استخدمت في الوصول إليها ، وعرض النتائج بمنتهي الدقة مع الإشارة إلى مصدر كل العبارات المقتطفة في البحث، وترتيب المصادر والمراجع حسب أهميتها العلمية.

الموضوع العاشر وسائل جمع البيانات

وسائل جمع البيانات

- ✓ المقابلة
- ✓ الاستبيان
- ✓ الملاحظة

مقدمة

الأداة ترجمة للكلمة الانجليزية Technique وللكلمة نظائرها في مختلف اللغات ، استخدمها الباحثون للإشارة إلى الوسيلة التي تستخدم في البحث سواء أكانت تلك الوسائل متعلقة بجمع البيانات أو بعمليات التصنيف والجدولة ، وليس هدفنا في هذا الباب أن نعرض للوسائل بنوعيها، وإنما يختص هذا الباب بالنوع الأول وهو وسائل جمع البيانات.

ويرتبط مفهوم الوسيلة أو الأداة بالكلمة الاستفهامية بم ؟ فإذا تساءلنا بم يجمع الباحث بياناته؟ فإن الإجابة على ذلك تستلزم تحديد نوع الأداة اللازمة للبحث.

ويتوقف اختيار الباحث للأداة أو للأدوات اللازمة لجمع البيانات على عوامل كثيرة ، فبعض أدوات البحث تصلح في بعض المواقف والأبحاث عنها في غيرها، فمثلا يفضل بشكل عام استخدام المقابلة والاستبيان عندما يكون نوع المعلومات اللازمة له اتصال وثيق بعقائد الأفراد أو بشعورهم أو باتجاهاتهم نحو موضوع معين

، وتفضل الملاحظة المباشرة عند جمع معلومات تتصل بسلوك الأفراد الفعلي في بعض المواقف الواقعية في الحياة والتي يمكن ملاحظتها دون عناء كبير أو يمكن تكرارها بدون جهد، وتفيد الاختبارات السوسيومترية في دراسة أنواع معينة من السلوك الاجتماعي، كما تفيد الوثائق والسجلات في إعطائها المعلومات اللازمة عن الماضي ، وقد يؤثر موقف المبحوثين من البحث في تفضيل وسيلة على وسيلة أخرى ، ففي بعض الأحيان يبدى المبحوثون نوعا من المقاومة ، ويرفضون الإجابة على بعض أسئلة الباحث، وفى هذه الحالة يتعين استخدام الملاحظة في جمع البيانات.

وقد يعتمد الباحث على أداة واحدة لجمع البيانات، وقد يعتمد على أكثر من أداة أو وسيلة ، فيجمع بين طريقتين أو أكثر من طرق جمع البيانات حتى يدرس الظاهرة من جميع أنواعها، وليكشف عن طبيعتها بدقة ونجاح ، فقد يقتضى البحث مثلاً المقارنة بين ما يقوله الناس وبين ما يفعلونه ، وفى هذه الحالة يتعين على الباحث الاستعانة بالاستبيان أو المقابلة بالإضافة إلى الملاحظة.

هذا ويلاحظ أن هناك شبه اتفاق بين الباحثين على الأدوات التي يمكن استخدامها في جمع البيانات، وسنشير في هذا الباب إلى الأدوات الرئيسية التي يشيع استخدامها في البحث.

1- ماهية الملاحظة

الملاحظة وسيلة هامة من وسائل جمع البيانات، استخدمت في الماضي كما تستخدم في الحاضر لما لها من أهمية في الدراسة والبحث، وقد لجأت إليها الشعوب البدائية كما تلجأ إليها الشعوب المتحضرة لجمع المعلومات عن الأشياء والمواقف المحيطة بهم، وللتعرف على ظواهر الحياة ومشكلاتها، ولكن الملاحظة العلمية تختلف اختلافاً كبيرا عن الملاحظة غير العلمية، وقد سبق أن أشرنا إلى أن الملاحظة التي كانتا تقوم بها الشعوب البدائية من النوع البسيط الساذج الذي لا يهدف إلى الكشف عن حقيقة علمية محددة أو غاية نظرية واضحة ، وأدخلنا ذلك النوع من الملاحظة في نطاق المعرفة التجريبية التي وصفناها بأنها تقف عند بعض المواقف العلمية المحدودة والتي تبدو قاصرة تماماً في محيط التفكير النظري ومحاولة تفسير الظواهر وتعليلها بعكس الملاحظة العلمية التي يقوم فيها العقل بنصيب كبير في ملاحظة الظواهر وتفسيرها وإيجاد العلاقات القائمة بينها، هذا بالإضافة إلى أن الملاحظة العلمية لا تقتصر على مجرد الحواس ، بل تستعين بأدوات علمية دقيقة للقياس ضمانا لدقة النتائج وموضوعيتها من ناحية وتفاديا لقصور الحواس من ناحية أخرى.

وعلى هذا فإن من الضروري أن يهتم الباحث باختيار وتدريب القائمين بالملاحظة حتى يستطيع الحصول على بيانات علمية بالمعني الدقيق، وينبغي على الباحث أن يحدد منذ البداية ما يأتي:-

الوقائع التي يجب ملاحظتها.

كيفية تسجيل الملاحظات.

الإجراءات التي يجب اتخاذها للتأكد من دقة الملاحظة.

نوع العلاقة التي يجب أن تقوم بين الملاحظ والوقائع الملاحظة ، وكيفية تكوين هذه العلاقة.

وليس من شك في أن التحديد الدقيق للنقاط الأربعة السابقة يختلف تبعا لنوع الدراسة، فالدراسات التجريبية تستلزم أكبر قدر من الدقة ، على حين أن البحوث الكشفية تتطلب نوعا من المرونة أما الدراسات الوصفية فيمكن أن تقف موقفا وسطا بين الاثنين.

2- أساليب الملاحظة

للملاحظة أساليب متعددة يتداخل بعضها في بعض، ويختلف بعضها عن بعض، ويمكن تصنيف هذه الأساليب على الرغم من تعددها في فئتين عريضتين هما:-

أولا : الملاحظة البسيطة :

يقصد بالملاحظة البسيطة ملاحظة الظواهر كما تحدث تلقائيا في ظروفها الطبيعية دون إخضاعها للضبط العلمي، وبغير استخدام أدوات دقيقة القياس للتأكد من دقة الملاحظة وموضوعيتها.

ويستخدم أغلب الناس هذا الأسلوب في التعرف على ظواهر الحياة المحيطة بهم، كما يستخدمه الباحثون الاجتماعيون في الدراسات الاستطلاعية لجمع البيانات الأولية عن جماعة معينة من الناس في بيئة معينة وتحت ظروف معينة من حيث أوجه نشاطهم ، وطرق معيشتهم كدراسة أوجه النشاط التي يمارسها طلبة مدرسة من المدارس، أو أنواع العلاقات التي تقوم بين جماعة من العمال في أحد المصانع أو دراسة حياة المهاجرين من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية أو ملاحظة أوجه النشاط التي يمارسها الأهالي في حي من الأحياء ، ويستخدم هذا الأسلوب أيضا في كثير من ميادين علم نفس الطفل وعلم نفس الشواذ، ففي علم نفس الطفل مثلا يقوم الباحث بملاحظة ألعاب الطفل في فترات مختلفة ليتبين ما يعترى هذه الألعاب من تغيرات ، كما يلاحظ نمو اللغة عند الأطفال في مراحل السن المختلفة ، وفى علم نفس الشواذ يقوم عالم النفس بملاحظة الأنواع المختلفة لاضطراب الشخصية، والظروف التي تساعد على انتشار الأمراض النفسية والعقلية تمهيداً لدراستها دراسة أكثر تعمقاً وضبطاً.

ويمكن أن تتم الملاحظة بإحدى طريقتين :-

أ- الملاحظة بدون مشاركة:

وهي التي يقوم فيها الباحث بالملاحظة دون أن يشترك في أي نشاط تقوم به الجماعة موضوع الملاحظة وغالبا ما يستخدم هذا الأسلوب في ملاحظة الأفراد أو الجماعات التي يتصل أعضاؤها ببعض اتصالاً مباشراً، ومن مزاياه أنه يهيئ للباحث الأخطاء التي قد يقع فيها لو أنه استعان بأداة أخرى لجمع البيانات كالاستبيان ، إذ أن المبحوث قد لا يعبر عن رأيه تعبيراً صريحا، فيعطي الإجابات التي يظن أن الباحث يريدها أو يتوقعها.

ب- الملاحظة بالمشاركة:

وهى التي تتضمن اشتراك الباحث في حياة الناس الذين يقوم بملاحظتهم ومساهمته في أوجه النشاط التي يقومون بها لفترة مؤقتة وهي فترة الملاحظة ، ويستلزم هذا النوع من الملاحظة أن يصبح الباحث عضوا في الجماعة التي يقوم بدراستها وأن يساير الجماعة ويتجاوب معها، وأن يمر في نفس الظروف التي تمر بها، ويخضع لجميع المؤثرات التي تخضع لها ، ولا يكشف الباحث عن نفسه أو يفصح عن شخصيته ليظل سلوك الجماعة تلقائيا بعيدا عن التصنع والرياء، وقد يفصح عن شخصيته ويكشف عن غرضه وبمرور الوقت يألفه أفراد المجتمع ويصبح وجوده أمراً طبيعياً.

ثانيا : الملاحظة المنظمة

- يختلف أسلوب الملاحظة المنظمة عن أسلوب الملاحظة البسيطة اختلافا يباعد بينهما من حيث الضبط العلمي والتحديد الدقيق ، فالملاحظة المنظمة تخضع للضبط العلمي سواء أكان ذلك بالنسبة للقائم بالملاحظة أو بالنسبة للأفراد الملاحظين أو بالنسبة للموقف الذي تجرى فيه الملاحظة ، كما أنها تنحصر في موضوعات محددة سلفاً ، وتقتصر على إجابة الأسئلة أو تحقيق الفروض التي وضعها الباحث ، ويشيع استخدام هذا الأسلوب في الدراسات الوصفية والدراسات التي تختبر فروضا سببية، لما تتميز به الملاحظة المنظمة من دقة وعمق وتركيز على حين أن أسلوب الملاحظة البسيطة لا يستخدم إلا في الدراسات الاستطلاعية كما ذكرنا سابقاً.

- وتتم الملاحظة المنظمة إما في مواقف طبيعية بالنسبة لأفراد البحث وذلك بنزول الباحث بنفسه إلى حيث تجرى الظاهرة التي يدرسها على طبيعتها أو بملاحظة الظاهرة في جو المعمل الصناعي ، وكلما كان الموقف طبيعياً كانت النتائج أدق لأن كثيرا من الظواهر يتغير إذا لوحظ في جو المعمل الصناعي.

- وتتم الملاحظة المنظمة بالمشاركة أو بدون مشاركة من جانب الباحث وفى الملاحظة بدون مشاركة يقوم الباحث بالاختباء وراء شاشة بصرية يستطيع من خلالها أن يرى الأشخاص الذين تجرى عليهم عملية الملاحظة دون أن يتمكن هؤلاء من رؤيته، أما في الملاحظة بالمشاركة فإن الباحث لا يستطيع أن يخفى حقيقة مهمته وهي القيام بالبحث، ومن الضروري أن يقدم نفسه للجماعة قبل بداية الملاحظة بطريقة مقبولة وأن يشرح الهدف الرئيسي من البحث.

- وفى الإعداد للملاحظة ينبغي تحديد فئات الملاحظة تحديدا دقيقا بحيث يمكن تصنيف الظواهر الملحوظة وفقا لها، وليتسنى للقائم بالملاحظة جمع البيانات المتصلة بموضوع البحث فقط والتي يمكن أن تؤيد أو تكذب صحة الفرض الذي وضعه، كما ينبغي تحديد وحدات الملاحظة، والوحدة عبارة عن جملة بسيطة يمكن نسبها إلى إحدى الفئات، أما الجمل المركبة فإنها تشتمل في الغالب على أكثر من وحدة، ولذا فإن من الضروري تحديد حجم وحدة السلوك الذي يصنف في فئة، فقد يتراوح الحجم من فعل واحد يقوم به فرد واحد إلى كل الأفعال التي يقوم بها الفرد خلال زمن الملاحظة.

- ولما كانت الملاحظة عملية انتقائية بمعني أن العقل لا يلاحظ من الظواهر إلا ما يتفق مع رغباته واتجاهاته ، ويستبعد الوقائع التي لا تتمشى مع هذه الرغبات والحاجات ، فإن من الضروري العمل على ضمان دقة الملاحظات وسلامتها، ولذا يستعان في الملاحظة المنظمة بعدد من الإجراءات سنشير إليها في الفقرة التالية للتأكد من دقة الملاحظات ، والبعد بها عن عوامل التحيز والانحراف.

- وتستلزم الدقة العلمية القيام بتسجيل الملاحظات المنظمة في حينها للتقليل من احتمالات التحيز، وضمانا لعدم النسيان ، وليس التسجيل بأمرا هينا بل يحتاج إلى تدريب وإعداد ويقظة من جانب الباحث ، وتنطبق الكثير من الملاحظات التي سبق ذكرها فيما يتصل بتسجيل الملاحظة البسيطة على الملاحظة المنظمة، ولكن نظرا لأن الموقف موضع الملاحظة المنظمة يكون قد سبق تحديده تحديداً كافيا فإن تسجيل دقائق الملاحظة وتفاصيلها يمك نان يتم في ضوء الوحدات والفئات التي سبق تحديدها قبل البدء في عملية الملاحظة.

الوسائل المستخدمة في الملاحظة المنظمة:

1. المذكرات التفصيلية
2. الصور الفوتوغرافية
3. الخرائط
4. استمارات البحث
5. نظام الفئات

6. مقاييس التقدير
7. المقاييس السوسيومترية

1- المقصود بالاستبيان:

- الاستبيان ترجمة للكلمة الانجليزية Questionnaire وللكلمة في اللغة العربية ترجمات متعددة، تترجم أحيانا باسم "الاستفتاء" وتترجم أحيانا أخرى باسم "الاستقصاء" وتترجم أحيانا ثالثة باسم "الاستبيان"، وهذه الكلمة جميعها تشير إلى وسيلة واحدة لجمع البيانات قوامها الاعتماد على مجموعة من الأسئلة ترسل إما بطريق البريد لمجموعة من الأفراد أو تنشر على صفحات الجرائد والمجلات أو على شاشة التليفزيون أو عن طريق الإذاعة، ليجيب عليها الأفراد ويقوموا بإرسالها إلى الهيئة المشرفة على البحث أو تسلم باليد للمبحوثين ليقوموا بملئها ثم يتولى الباحث أو أحد مندوبيه جمعها منهم بعد أن يدونوا إجاباتهم عليها.

- ويطلق على الاستبيان الذي يرسله الباحث بالبريد أو بنشره في الصحف والمجلات اسم " الاستبيان البريدي" تمييزا له عن الاستبيان غير البريدي الذي يتولى الباحث أو أحد مندوبيه توزيعه وجمعه من المبحوثين.

- ويتفق الاستبيان البريدي وغير البريدي في أن المبحوث هو الذي يتولى بنفسه الإجابة على أسئلة الاستمارة وملئها بنفسه دون مساعدة من جانب الباحث.

- ويستخدم الاستبيان غير البريدي في الحالات التي يمكن فيها جمع المبحوثين في مكان واحد، وتوزيع الاستمارات عليهم، كما هو الحال بالنسبة للطلبة في المدارس والعمال في المصانع والموظفين في المكاتب.

- ومن مزايا الاستبيان غير البريدي أنه قليل التكاليف، ويضمن للباحث أن المجيب على أسئلة الاستبيان هو الشخص المطلوب وليس أي شخص آخر، كما أن نسبة الردود تزداد زيادة كبيرة هذا بالإضافة إلى أن البيانات التي يدلي بها المبحوثون تكون أكثر صدقا ودقة لوجود الباحث بنفسه وتأكيده لأفراد البحث سرية البيانات وإزالته للمخاوف والشكوك من نفوسهم.

2- مزايا الاستبيان

1. يستفاد بالاستبيان إذا كان أفراد البحث منتشرين في أماكن متفرقة ويصعب الاتصال بهم شخصياً ، وفى هذه الحالة يستطيع الباحث أن يرسل إليهم الاستبيان بطريق البريد فيحصل منهم على البيانات المطلوبة بأقل جهد وفى أقصر وقت ممكن ، فإذا أراد الباحث مثلاً أن يقوم ببحث عن خريجي الجامعات في سنة من السنوات ليحدد المراكز التي وصلوا إليها خلال فترة زمنية معينة، أو الوقوف على آرائهم بشأن مسألة من المسائل، فإن من الأوفق استخدام الاستبيان البريدي في جمع البيانات المتعلقة بالبحث حيث أنهم لا يشتغلون بعد تخرجهم في مكان واحد وإنما يعملون في أماكن متفرقة.

2. يتميز الاستبيان بقلة التكاليف والجهد وخاصة إذا نشر على صفحات الجرائد أو وزع على الأفراد وحتى في حالة إرساله بالبريد فإنه لا يكلف كثيراً إذا قورن بغيره من وسائل جمع البيانات.

3. يعطي الاستبيان البريدي لأفراد البحث فرصة كافية للإجابة على الأسئلة بدقة، خاصة إذا كان نوع البيانات المطلوبة متعلقاً بجميع أفراد الأسرة إذ يمكنهم التشاور معا في البيانات التي تتطلب إجابة جماعية.

4. يسمح الاستبيان البريدي للأفراد بكتابة البيانات في الأوقات التي يرونها مناسبة لهم دون أن يتقيدوا بوقت معين يصل فيه الباحث لجمع البيانات.

5. تتوفر للاستبيان ظروف التقنين أكثر مما تتوفر لوسيلة أخرى من وسائل جمع البيانات وذلك نتيجة للتقنين في الألفاظ وترتيب الأسئلة وتسجيل الاستجابات، وهو يكفل للمبحوثين مواقف متجانسة نتيجة لعدم اتصال الباحث شخصيا بالمبحوثين.

6. يساعد الاستبيان في الحصول على بيانات حساسة أو محرجة ، ففي كثير من الأحيان يخشى المبحوث إعلان رأيه والتصريح به أمام الباحث كأن يدلي برأيه في سياسة الحزب الحاكم، أو يعلن رأيه في رئيس العمل، أو يتحدث في نواح تتعلق بالعلاقات الزوجية، أما إذا أتيحت له الفرصة لإبداء رأيه في مثل هذه المسائل بطريقة لا تؤدى إلى التعرف عليه - كما هو الحال في الاستبيان – فإنه يدلي برأيه بصدق وصراحة.

7. لا يحتاج الاستبيان إلى عدد كبير من جامعي البيانات نظرا لأن الإجابة على أسئلة الاستبيان وتسجيلها لا يتطلب إلا المبحوث وحده دون الباحث.

4- تعريف المقابلة:

- تستخدم كلمة الاستبار بدلا من كلمة المقابلة ويرجع ذلك إلى الأصل اللغوي للكلمة ، فالاستبار من سب وأسبر واستبر الجرح أو البئر أو الماء أي امتحن غوره ليعرف مقداره ، واستبر الأمر أي جربه واختبره.
- ويعرف بنجهام المقابلة بأنها "المحادثة الجادة الموجهة نحو هدف محدد، غير مجرد الرغبة في المحادثة لذاتها" وينطوي هذا التعريف على عنصرين رئيسين هما:-

1. المحادثة بين شخصين أو أكثر في موقف مواجهة ، ويرى بنجهام أن الكلمة ليست هي السبيل الوحيد للاتصال بين الشخصين، فخصائص الصوت، وتعبيرات الوجه ونظرة العين والهيئة والإيماءات والسلوك العام، كل ذلك يكمل ما يقال.

2. توجيه المحادثة نحو هدف محدد ، فالمقابلة تختلف عن الحديث العادي في أن الحديث قد لا يستهدف شيئاً أو قد يرمى الإنسان من ورائه إلى تحقيق لذة يجتنبها من حديثه إلى الآخرين، أما المقابلة فهي محادثة جادة موجهة نحو هدف محدد، ووضوح هذا الهدف شرط أساسي لقيام علاقة حقيقية بين القائم بالمقابلة وبين المبحوث.

3. ويعرف انجلش المقابلة بأنها محادثة موجهة يقوم بها شخص مع شخص آخر أو أشخاص آخرين، هدفها استثارة أنواع معينة من المعلومات لاستغلالها في بحث علمي أو للاستعانة بها في التوجيه والتشخيص والعلاج ، وتعريف انجلش لا يختلف عن تعريف بنجهام في تحديده خصائص المقابلة إلا أنه يتميز عليه في تحديد الأهداف الأساسية للمقابلة وهي:-

    1. جمع الحقائق لغرض البحث.

    2. الاستفادة بها في التوجيه والتشخيص والعلاج.

    وتعرف "جاهودا" المقابلة بأنها "التبادل اللفظي الذي يتم وجها لوجه بين القائم بالمقابلة وبين شخص آخر أو أشخاص آخرين" ويشترك هذا التعريف مع التعريفين السابقين في تحديده للتفاعل اللفظي الذي يتم بين القائم بالمقابلة وبين المبحوث، وكذلك في تحديده لموقف المواجهة إلا أنه لا يشير إلى الهدف من المقابلة كما أشار التعريفان السابقان.

أما ماكوبى وماكوبى فإنهما يعرفان المقابلة بأنها " تفاعل لفظي يتم بين شخصين في موقف مواجهة حيث يحاول أحدهما وهو القائم بالمقابلة أن يستثير بعض المعلومات أو التعبيرات لدى المبحوث، والتي تدور حول آرائه أو معتقداته، وهذا التعريف يقتصر على تحديد المقابلة كما يستخدم في البحث الاجتماعي فقط، فهو يجعل الهدف من المقابلة هو مجرد استثارة المعلومات أو التعبيرات التي تدور حولها ومعتقدات المبحوث.

من العرض السابق لتعريفات المقابلة يمكن أن نحدد الخصائص الجوهرية للمقابلة فيما يلي:-

1. التبادل اللفظي الذي يتم بين القائم بالمقابلة وبين المبحوث، وما قد يرتبط بذلك التبادل اللفظي من استخدام تعبيرات الوجه ونظرة العين والهيئة والإيماءات والسلوك العام.

2. المواجهة بين الباحث والمبحوث.

3. توجيه المقابلة نحو غرض واضح محدد، وهذا الغرض يجعلها تختلف عن الحديث العادي الذي لا يهدف إلى تحقيق غرض معين.

2- مزايا المقابلة

1. للمقابلة أهميتها في المجتمعات التي تكون فيها درجة الأمية مرتفعة ، فالمقابلة لا تتطلب من المبحوثين أن يكونوا مثقفين حتى يجيبوا على الأسئلة حيث أن القائم بالمقابلة هو الذي يقوم بقراءة الأسئلة.

2. تتميز المقابلة بالمرونة فيستطيع القائم بالمقابلة أن يشرح للمبحوثين ما يكون غامضا عليهم من أسئلة وأن يوضح معاني بعض الكلمات.

3. تتميز المقابلة بأنها تجمع بين الباحث والمبحوث في موقف مواجهة ، وهذا الموقف يتيح له فرصة التعمق في فهم الظاهرة التي يدرسها، وملاحظة سلوك المبحوث، فيستطيع الباحث مثلا عن طريق مقابلة لأفراد الأسرة أن يقف على مدى التفاهم بين الزوج والزوجة ، وأن يلحظ العلاقات المتبادلة بين أفراد الأسرة ، كما يستطيع أن يجمع بيانات عن بعض الظواهر دون توجيه أسئلة قد تبدو محرجة، فيستطيع الباحث مثلا عند زيارته لأسرة ما أن يشاهد حالة الأفراد السكنية والمعيشة الاجتماعية بصفة عامة دون أن يوجه أسئلة قد تبدو محرجة ، وقد يكون لها أثرها في المبحوثين فيرفضون التعاون مع الباحث ، هذا بالإضافة إلى أن المقابلة تساعد الباحث على الكشف عن التناقض في الإجابة ومراجعة المبحوث في تفسير أسباب التناقض.

4. إذا أراد الباحث أن يوجه أسئلة كثيرة إلى المبحوثين ، ففي استطاعته أن يقنعهم بالأهمية العلمية والعملية للبحث وما يمكن أن يستفيده المجتمع من ورائه وبهذا يكسب معونتهم ويضمن استجابتهم للبحث.

5. توجه الأسئلة في المقابلة بالترتيب والتسلسل الذي يريده الباحث ، فلا يطلع المبحوث على جميع الأسئلة قبل الإجابة عليها كما قد يحدث في الاستبيان.

6. تضمن المقابلة للباحث الحصول على معلومات من المبحوث دون أن يناقش مع غيره من الناس أو يتأثر بآرائهم، وبذا تكون الآراء التي يدلي بها المبحوث أكثر تعبيرا عن رأيه الشخصي.

7. يغلب أن تحقق المقابلة تمثيلا أكبر وأدق للمجتمع لأن القائم بالمقابلة يستطيع الحصول على بيانات من جميع المبحوثين خصوصا إذا أحسن عرض الغرض من البحث عليهم واختيار الوقت المناسب للاتصال بهم.

8. يحصل القائم بالمقابلة على إجابات لجميع الأسئلة وإذا كانت ناقصة فإنه يستطيع الاتصال بالمبحوثين ويقوم بمقابلة ثانية وثالثة حتى يحصل على البيانات المطلوبة.

6- أنواع المقابلات.

- للمقابلة أنواع كثيرة وتصنيفات متعددة، وتختلف هذه الأنواع بعضها عن بعض من حيث شكلها وموضوعها ومجالها ، على أن من الممكن تصنيفها على النحو التالي:-

أ- من حيث الغرض: تنقسم المقابلات إلى الأنواع التالية:-

1- المقابلة لجمع البيانات

2- المقابلة الشخصية

3- المقابلات العلاجية

ب- من حيث عدد المبحوثين تنقسم المقابلات إلى الأنواع التالية:-

1- المقابلة الفردية

2- المقابلة الجماعية

ج- **من حيث درجة المرونة في موقف المقابلة تنقسم الى :**

1- المقابلة المقننة

2- المقابلة غير المقننة

أولا : كيفية إجراء المقابلة

لما كانت المقابلة تستخدم لجمع البيانات المتعلقة باتجاهات الأفراد وعقائدهم ودوافعهم ومشاعرهم نحو موضوعات معينة، معتمدة على التقرير الذاتي اللفظي للمبحوث، في موقف مواجهة يقوم على التفاعل المستمر والتأثير المتبادل بين شخصين كلاهما غريب عن الآخر ، فإن نجاح المقابلة يتوقف إلى حد كبير على مهارة القائم بها ومدى فهمه لدوافع السلوك ، ومقدار وعيه بمختلف العوامل التي يمكن أن تدفع المبحوث إلى الوقوف موقفا سلبيا من الباحث أو إلى إعطاء بيانات محرفة لا تتسم بالصدق والثبات.

ويجمع اغلب المشتغلين بالبحث الاجتماعي على أن المقابلة فن يحتاج إلى مهارة وخبرة وتدريب ، وهذه المهارة والخبرة يمكن اكتسابها عن طريق الممارسة العملية وذلك بالنزول إلى الميدان ومقابلة المبحوثين والاحتكاك بهم مع الاستفادة بالحقائق العلمية التي توصل إليها علماء النفس والاجتماع وخاصة تلك التي تتعلق بدوافع السلوك ومكونات الشخصية وأساليب الاتصال والتأثير وأنواع العلاقات الاجتماعية .

وتفيض المراجع بكثرة من النصائح والإرشادات التي يمكن الاستفادة بها عند إجراء المقابلة وهذه النصائح اغلبها مستمد من خبرات الباحثين الميدانيين ومن الحقائق العلمية عن السلوك ودوافعه والاتصال وأساليبه.

ونعرض فيما يلي بعضا منها لا ليلتزم بها الباحث التزاما حرفيا بل ليأخذ منها ما يتناسب مع الموقف الذي يواجهه، وليغير فيها حسب طبيعية البحث والظروف المحيطة به.

1- استثارة الدافع للاستجابة

2- تهيئة جو المقابلة

3- توجيه الأسئلة

4- الحصول على الإجابة

5- تسجيل إجابات المبحوثين

ثانيا :إعداد استمارة الاستبيان والمقابلة

- تستلزم عملية جمع البيانات بطريق الاستبيان أو المقابلة إعداد خطة مفصلة للاهتداء بها عند جمع البيانات وتكون هذه التفاصيل مكتوبة في شكل أسئلة وأمامها فراغات ليملأها المبحوث نفسه أو يملأها الباحث بناء على مشاهداته الخاصة وعلى ما يدلى به المبحوثون من بيانات.
- ويستخدم بعض المشتغلين بالبحث الاجتماعي مصطلحات متعددة للتفرقة بين الاستبيان أو الاستخبار، بينما يطلقون على الثانية مصطلح "كشف البحث أو الاستمارة" ولكننا نفضل إطلاق مصطلح واحد على كلتيهما وهو استمارة نظراً لعد وجود فوارق جوهرية بين الاستمارتين ولا في طريقة إعداد كل منهما، وللتفرقة بينهما يمكن أن نقول : استمارة الاستبيان أو استمارة المقابلة "الاستبار".
- وسنحاول في هذا المجال أن نناقش القواعد الرئيسية التي تستخدم في إعداد الاستمارة وطريقة صياغة الأسئلة وتسلسلها.

خطوات إعداد الاستمارة:

- هناك عدة خطوات يجب إتباعها عند إعداد الاستمارة ، وهذه الخطوات هي:-

1. تحديد نوع المعلومات التي يرغب الباحث في الحصول عليها.
2. تحديد شكل الأسئلة والاستجابات والصياغة وتسلسلها.
3. اختبار الاستمارة قبل تعميم تطبيقــها على المبحوثين.
4. تنسيق الاستمارة وإعدادها في صــورتها النهائيـــة.